العدد (٨) - جمادى الأولى ١٤٢٩هـ - مايو ٢٠٠٨م

# الصوفية

إضاءة لتزكية النفس وتصحيح المسار

شمس الدين سومطراني

السماع والذكر عند الصوفية

احتجاج الصوفية بأثر فتح الكوة على جواز التوسل والرد عليه

عز الدين القسام

صوفية العراق

## برءة أبي بكر العنبري من دعاوى الصوفية

بسم ا لله الرحمن الرحيم


الهيئة الاستشارية للمجلة:

د. عبد العزيز محمد آل عبد اللطيف

الشيخ/ عبد المجيد الريمي

أ.د / الأمين الحاج أحمد

الشيخ/ عبد الرحمن عبد الخالق

هيئة تحرير المجلة:

حسن بن علي البار

عبد الرحمن بن محمد الهرفي

محمد بن عبد ا لله المقدي

- ترحب المجلة بإسهامات الكتاب في شتى موضوعات التصوف.
- ترحب المجلة بتعقيبات القراء ومراجعاتهم حول ما ينشر في المجلة.

بريد التحرير:

a@alsoufia.com

الصف والتنسيق:

دار الصديق للنشر والتوزيع

(alsedeeq@msn.com)

الإخراج الفني:

أبو عبد ا لله القباطي

(alqupaty11@hotmail.com)


# في هـذا العـدد


الافتتاحية ٣

قالوا في التصوف.. عز الدين القسام ٧

عبادات تحت الضوء.. السماع والذكر عند الصوفية ٨

أعلام التصوف.. شمس الدين سومطراني ١٦

عقائد تحت المجهر.. احتجاج الصوفية بأثر فتح الكوة على جواز التوسل والرد عليه ١٨

من مشكاة النصح.. براءة أبي بكر العنبري من دعاوى الصوفية ٢٠

أبحاث ومقالات.. صوفية العراق ٢٣

الطرق الصوفية.. الطريقة البوتشيشية ٣٠

منـــوعـــات

الزاوية البودشيشية بالمغرب تستقبل آلاف المريدين في المولد!! ٣٥

سر إحياء الطرق الصوفية بالمغرب ٣٦

الصوفية يرتمون في أحضان أمريكا في مؤتمر مشبوه ٣٧

صراع على مشيخة الطريقة القادرية بالجزائر ٣٨

الحكومة الجزائرية في أزمة مع الطرق الصوفية رغم دعمها لها ٣٩

منصب مستشار الرئيس الجزائري يخلق الصراع بين الزوايا ٤٠

مفتي مصر يدعي رؤية النبي صلى الله عليه وسلم يقظة!! ٤١

الأمين العام لمنظمة آل البيت في موريتانيا يحذر من الشيعة! ٤١

جدل حول الموالد بالإسكندرية في مصر ٤٢

توقع إطلاق قناة فضائية للطرق الصوفية في مصر بداية العام القادم ٤٢

# بيان للأمة
# حول المولد النبوي

إن الحمد لله، نحمده ونستعينه ونستغفره، ونؤمن به ونتوكل عليه، ونصلي ونسلم على نبينا محمد وآله وصحبه ومن سار على نهجه.

وبعد:

فمعلوم في شريعة الإسلام أن عبادة الله تعالى تقوم على أصلين عظيمين:

الأول: إخلاص العبادة لله تعالى، قال سبحانه: ((إِنَّا أَنزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ فَاعْبُدِ اللَّهَ مُخْلِصاً لَهُ الدِّينَ ❖ أَلا لِلَّهِ الدِّينُ الْخَالِصُ)) [الزمر:٣]، ويقول تعالى: ((قُلْ إِنِّي أُمِرْتُ أَنْ أَعْبُدَ اللَّهَ مُخْلِصاً لَهُ الدِّينَ ❖ وَأُمِرْتُ لِأَنْ أَكُونَ أَوَّلَ الْمُسْلِمِينَ)) [الزمر:١١- ١٢]، وقال سبحانه: ((فَمَنْ كَانَ يَرْجُوا لِقَاءَ رَبِّهِ فَلْيَعْمَلْ عَمَلاً صَالِحاً وَلا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ أَحَداً)) [الكهف:١١٠]، وجميع الرسل افتتحوا دعوتهم لأقوامهم بهذا الأصل، كما قال نوح عليه السلام: ((اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ)) [الأعراف:٥٩]، وكذلك هود وصالح وشعيب عليهم السلام.

والأصل والثاني: متابعة النبي صلى الله عليه وآله وسلم، قال تعالى: ((وَأَنَّ هَذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيماً فَاتَّبِعُوهُ وَلا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَنْ سَبِيلِهِ ذَلِكُمْ وَصَّاكُمْ بِهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ)) [الأنعام:١٥٣].

وقال: ((الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الإِسْلامَ دِيناً)) [المائدة:٣].

وقال: ((قُلْ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ)) [آل عمران:٣١].

وقال تعالى: ((الْمَصِ ❖ كِتَابٌ أُنزِلَ إِلَيْكَ فَلا يَكُنْ فِي صَدْرِكَ حَرَجٌ مِنْهُ لِتُنذِرَ بِهِ وَذِكْرَى لِلْمُؤْمِنِينَ)) [الأعراف:١- ٢].

ولا شك أن الإيمان بالنبي صلى الله عليه وآله وسلم ظاهراً وباطناً، وطاعته، والتأسي به،ومحبته، وتعزيره، وتوقيره،و تبليغ الدين الذي جاء به، ونشر سنته، والذب عنه، والمنع من كل ما يؤذيه قولاً وفعلاً واعتقاداً، ومودة آل بيته، ومحبة أصحابه والذب عنهم، هي من أعظم القربات ،وصدق اتباعه عليه الصلاة والسلام يكون بمخالفة أهواء الأنفس وحظوظها وشهواتها قولاً وفعلاً واعتقاداً.

فالواجب على الأمة اتباع هديه صلى الله عليه وآله وسلم ، والابتعاد عن كل بدعة، يقول صلى الله عليه وآله وسلم كما في الصحيحين عن أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها { من أحدث في أمرنا هذا ما ليس منه فهو رد } وفي وراية لمسلم { من عمل عملا ليس عليه أمرنا فهو رد } والبدع جميعُها تشترك في وصف الضلالة ، فقد جاء في الصحيح من حديث العرباض بن سارية رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وآله وسلم قال: {وإياكم ومحدثات الأمور فإن كل محدثة بدعة وكل بدعة ضلالة} زاد النسائي {وكل ضلالة في النار}. إلا أنها ليست على رتبة واحدة في الضلال ، فمنها البدع الكبيرة والصغيرة والمكفرة وغير المكفرة .

وقد فشا في أمة الرسول صلى الله عليه وآله وسلم بدعة منكرة يوهن إتيانها المحبةَ الحقةَ له صلى الله عليه وآله وسلم وهي بدعة المولد الذي يقام في الثاني عشر من ربيع الأول، وهي بدعة محرمة قولاً وعملاً واعتقاداً، فهي سوق رائجة للعقائد الباطلة، والأقوال والأعمال المحرمة، كالحقيقة المحمدية ، والإطراء المحرم، وتوهين المحبة الحقة، والتواصي بالتبرك بالقبور، وتحري إتيان عمرة

تسمى بعمرة المولد، وزيارة جبل حراء وثور، ويحصل في بعض البلدان الرقص و الغناء واختلاط الرجال بالنساء، والخروج بسيوف من خشب، وتوزيع أنواع الحلوى مضاهاة للأعياد الشرعية، وكل هذا مترتب على البدعة الأصلية وهي الاحتفال بالمولد النبوي.

ولا شك أن الأمة في هذا الزمان الصعب والمرحلة الحرجة ،والمنعطف الدقيق الذي تمر به ، وسطوة أهل الكتاب على أهل الإسلام، تحتاج إلى أن ترتبط برسولها صلى الله عليه وآله وسلم، ولا يكون الارتباط حقاً إلا بصدق المحبة، والتي من لوازمها الإتباع لهديه صلى الله عليه وآله وسلم ،فلا يجوز شرعاً ولا يقبل عقلاً أن يكون الاحتفال برسول الله صلى الله عليه وآله وسلم حَيْدَةً عن دينه وشرعه، وابتعاداً عن هديه وسنته، ومخالفةً لسبيل المؤمنين!

ومن مفاسد الاحتفال بعيد المولد:

أولاً: أن في إقامة هذه البدعة تحريفاً لأصل من أصول الشريعة، وهي محبة النبي صلى الله عليه وآله وسلم، واتباعه ظاهراً وباطناً، واختزالها في هذا المفهوم البدعي الضيق الذي لا يتفق مع مقاصد الشرع المطهر وكلياته وقواعده العظام.

ثانياً: ويلزم من ذلك القدح في من سبقنا من الصحابة العدول، ومن أتى بعدهم من خير القرون، بأننا أكثر محبة للنبي صلى الله عليه وآله وسلم منهم، وأنهم لم يوفوه حقه من المحبة والاحترام.

ثالثاً: الوقوع فيما نهى النبي صلى الله عليه وآله وسلم أمته صراحة، فقد قال صلى الله عليه وسلم: (لا تطروني كما أطرت النصارى ابن مريم)، أخرجه البخاري (ح:٣٢٦١) عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه، وذلك بتلاوة القصائد المشتملة على الإطراء المحرم والألفاظ البدعية وربما الشركية.

رابعاً: مخالفة النبي صلى الله عليه وسلم بتشريع عيد لم يفعله ولا أمر به ولا فعله أصحابه، ولا أحد من التابعين ولا تابعيهم، ولا فعله أحد من أهل الإسلام خلال القرون المفضلة الأول.

خامساً: اشتمال بعض هذه الموالد على كثير من كبائر وعظائم الأمور، والتي يرتع فيها أصحاب الشهوات ويستلذون، ويجدون فيها بغيتهم، ويحققون مرادهم، مثل: الطرب والغناء والرقص واختلاط الرجال بالنساء، وقد يصل الأمر في بعض البلدان التي يكثر فيها الجهل إلى تناول الخمور والمسكرات، وكذلك إظهار ألوان من الشعوذة والسحر، ومن يحضر هذه الأماكن بغير نية القربة فهو آثم مأزور غير مأجور، فكيف إذا انضم إلى فعل هذه المنكرات على أنها قربة إلى الله عز وجل.

سادساً: أن في هذه الموالد - والتي كثرت وانتشرت حتى وصلت في بعض الأشهر أن يحتفلوا بثمانٍ وعشرين مولداً - أن فيها استنفاد الطاقات والجهود والأموال، وإشغال الأوقات، وصرف للناس عن ما يكاد لهم من قبل أعدائهم، فتصبح كل أيامهم رقص وطرب وموالد.

وقد تواطأت كلمات أهل العلم والإيمان على بدعيتها وتحريم إتيان ناديها، بله التواصي على إنكارها باليد واللسان والقلب، فممن قال ببدعيتها:

- الشيخ تاج الدين عمر بن علي اللخمي المشهور بالفاكهاني المالكي (ت: ٧٣١هـ):

قال : (أما بعد : فقد تكرر سؤال جماعة من المُباركين عن الاجتماع الذي يعمله بعض الناس في شهر ربيع الأول ، ويسمونه : المولد : هل له أصل في الشرع ؟ أو هو بدعة وحدث في الدين ؟ وقصدوا الجواب عن ذلك مُبيَّناً ، والإيضاح عنه معيناً .

فقلت وبالله التوفيق: لا أعلم لهذا المولد أصلا في كتاب ولا سنة، ولا ينقل عمله عن أحد من علماء الأمة، الذين هم القدوة في الدين، المتمسكون بآثار المتقدمين، بل هو بدعة أحدثها البطالون، وشهوة نفسٍ اغتنى بها الأكالون، بدليل أنَّا إذا أدرنا عليه الأحكام الخمسة قلنا: إما أن يكون واجباً، أو مندوباً، أو مباحاً، أو مكروهاً، أو محرماً.وهو ليس بواجب إجماعاً، ولا مندوباً؛ لأن حقيقة الندب: ما طلبه الشرع من غير ذم على تركه، وهذا لم يأذن فيه الشرع، ولا فعله الصحابة، ولا التابعون ولا العلماء المتدينون- فيما علمت- وهذا جوابي عنه بين يدي الله إن عنه سئلت- ولا جائز أن يكون مباحاً؛ لأن الابتداع في الدين ليس مباحاً

بإجماع المسلمين.فلم يبق إلا أن يكون مكروهاً، أو حراماً).

كتاب: المورد في عمل المولد ، ضمن مجموع : (رسائل في حكم الاحتفال بالمولد النبوي) (١/٨).

١- محمد بن محمد بن الحاج العبدري الفاسي المالكي (ت: ٧٣٧هـ):

قال: (فصل في المولد: ومن جملة ما أحدثوه من البدع، مع اعتقادهم أن ذلك من أكبر العبادات وأظهر الشعائر ما يفعلونه في شهر ربيع الأول، من المولد، وقد احتوى على بدع ومحرمات جملة) [المدخل: (٢/ ٢- ١٠)].

٢- العلامة إبراهيم بن موسى بن محمد الشاطبي المالكي (ت: ٧٩٠هـ):

قوله: (..فمعلوم أن إقامة المولد على الوصف المعهود بين الناس بدعة محدثة وكل بدعة ضلالة، فالإنفاق على إقامة البدعة لا يجوز والوصية به غير نافذة بل يجب على القاضي فسخه ...) (فتاوى الشاطبي ص٢٠٣)

٣- العلامة أبو عبد الله محمد الحفار الغرناطي المالكي (ت: ٨١١هـ):

قال: (ليلة المولد لم يكن السلف الصالح يجتمعون فيها للعبادة، ولا يفعلون فيها زيادة على سائر ليالي السنة؛ لأن النبي لا يعظم إلا بالوجه الذي شرع به تعظيمه..) [المعيار المعرب والجامع المغرب (ص: ٩٩- ١٠١)].

٤- الحافظ أحمد بن عبد الرحيم أبو زرعة العراقي الشافعي (ت: ٨٢٦هـ):

قال: (لا نعلم ذلك - أي: عمل المولد - ولو بإطعام الطعام عن السلف) [تشنيف الآذان (ص: ١٣٦)].

٥- العلامة محمد بن علي الشوكاني (ت: ١٢٥٠هـ):

قال: (لم أجد إلى الآن دليلا يدل على ثبوته من كتاب، ولا سنة، ولا إجماع، ولا قياس، ولا استدلال، بل أجمع المسلمون أنه لم يوجد في عصر خير القرون، ولا الذين يلونهم ولا الذين يلونهم، وأجمعوا أن المخترع له السلطان - الكردي- المظفر أبو سعيد كوكبوري بن زين الدين على سبكتكين صاحب أربل) [رسالة في حكم المولد ضمن مجموع الفتح الرباني ٢/١٠٨٧]

٦- الشيخ محمد رشيد رضا (ت:١٣٥٤هـ ):

قال: (هذه الموالد بدعة بلا نزاع، وأول من ابتدع الاجتماع لقراءة قصة المولد أحد ملوك الشراكسة بمصر) [المنار (١٧/ ١١١)].

وننبه هنا إلى أمرين:

١- أن الغلو في الأنبياء والصالحين ورفعهم فوق منازلهم التي أنزلهم الله إياها أمر قد وقع في أمتي الغضب والضلالة: اليهود والنصارى، قال سبحانه: ((قُلْ يَاأَهْلَ الْكِتَابِ لا تَغْلُوا فِي دِينِكُمْ غَيْرَ الْحَقِّ وَلا تَتَّبِعُوا أَهْوَاءَ قَوْمٍ قَدْ ضَلُّوا مِنْ قَبْلُ وَأَضَلُّوا كَثِيراً وَضَلُّوا عَنْ سَوَاءِ السَّبِيلِ)) [المائدة:٧٧]، وقال تعالى: ((يَاأَهْلَ الْكِتَابِ لا تَغْلُوا فِي دِينِكُمْ وَلا تَقُولُوا عَلَى اللَّهِ إِلَّا الْحَقَّ إِنَّمَا الْمَسِيحُ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ رَسُولُ اللَّهِ وَكَلِمَتُهُ أَلْقَاهَا إِلَى مَرْيَمَ وَرُوحٌ مِنْهُ)) [النساء:١٧١]، وقال جل وعلا: ((وَقَالَتِ الْيَهُودُ عُزَيْرٌ ابْنُ اللَّهِ وَقَالَتِ النَّصَارَى الْمَسِيحُ ابْنُ اللَّهِ ذَلِكَ قَوْلُهُمْ بِأَفْوَاهِهِمْ يُضَاهِئُونَ قَوْلَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ قَبْلُ قَاتَلَهُمُ اللَّهُ أَنَّى يُؤْفَكُونَ ❖ اتَّخَذُوا أَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَانَهُمْ أَرْبَاباً مِنْ دُونِ اللَّهِ وَالْمَسِيحَ ابْنَ مَرْيَمَ وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا إِلَهاً وَاحِداً لا إِلَهَ إِلَّا هُوَ سُبْحَانَهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ)) [التوبة:٣١] وقد نهينا عن اتباعهم.

٢- أن الحب الحقيقي يستدعي الاتباع الصادق، قال تعالى: ((قُلْ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ)) [آل عمران:٣١].

قال ابن القيم رحمه الله: «فعلم انتفاء المحبة عند انتفاء المتابعة، فانتفاء محبتهم لازم لانتفاء المتابعة لرسوله، وانتفاء المتابعة ملزوم لانتفاء محبة الله لهم، فيستحيل إذن ثبوت محبتهم، وثبوت محبة الله لهم بدون المتابعة لرسوله صلى الله عليه وسلم » مدارج السالكين ١/٩٩.

وقال تعالى: ((فَآمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ النَّبِيِّ الأُمِّيِّ الَّذِي يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَكَلِمَاتِهِ وَاتَّبِعُوهُ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ)) [الأعراف:١٥٨].

فاتباع النبي صلى الله عليه وسلم ركيزة من ركائز ديننا، ووجوبه من المعلوم منه بالضرورة، وإنه من صفات المؤمنين، قال تعالى: ((فَلا وَرَبِّكَ لا يُؤْمِنُونَ حَتَّى يُحَكِّمُوكَ

فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لا يَجِدُوا فِي أَنفُسِهِمْ حَرَجاً مِمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيماً)) [النساء:٦٥].

قال ابن كثير رحمه الله: «يقسم تعالى بنفسه الكريمة المقدسة أنه لا يؤمن أحد حتى يحكم الرسول صلى الله عليه وسلم في جميع الأمور، فما حكم به فهو الحق الذي يجب الانقياد له باطناً وظاهراً، ولهذا قال: ((ثُمَّ لا يَجِدُوا فِي أَنفُسِهِمْ حَرَجاً مِمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيماً)) [النساء:٦٥]، أي: إذا حكموك يطيعونك في بواطنهم فلا يجدون في أنفسهم حرجاً مما حكمت به، وينقادون له في الظاهر والباطن، فيسلمون لذلك تسليماً كلياً من غير ممانعة ولامدافعة ولا منازعة " اهـ.

ولابد لنا تجاه هذه البدعة في الدين والمحدثة في سنة سيد المرسلين من وقفات:

الأولى: أهمية الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر:

إن الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر صمام أمان لنشر الخير، والتواصي به، ولردع ناشري الضلالة، سدنة القبور المتآكلين من صناديق النذور، قال الله تعالى: ((لُعِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ عَلَى لِسَانِ دَاوُدَ وَعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ ذَلِكَ بِمَا عَصَوْا وَكَانُوا يَعْتَدُونَ)) [المائدة:٧٨].

فالأخذ على أيدي هؤلاء المحتفلين بنشر العلم تارة وبسطوة النهي عن المنكر تارة أخرى كفيل باضمحلال هذه البدعة، ولكنا نرى ويا للحسرة! تواصياً من المتنفذين على هذه البدعة،ودعماً وتيسيراً وتشجيعاً لأصحابها، فأمر بالمنكر ونهي عن المعروف وتشجيع على البدع، وصدق صلى الله عليه وآله وسلم حين قال كما في الحديث الصحيح: (إنما أخاف على أمتي الأئمة المضلين) أخرجه الترمذي عن ثوبان رضي الله عنه.

الثانية: أهمية تعظيم شعائر الله:

((وَمَنْ يُعَظِّمْ شَعَائِرَ اللَّهِ فَإِنَّهَا مِنْ تَقْوَى الْقُلُوبِ)) [الحج:٣٢]، فيجب تعظيم الشعائر الزمانية والمكانية، فالزمانية كشهر رمضان والأشهر الحرم، والمكانية كالمساجد الثلاثة وكل ما عظمه الله جل وعلا في شرعه، فيجب تعظيم هذه الشعائر عن الشرك والبدعة والمعاصي الظاهرة، ومن تعظيمها الاكتفاء بها وعدم إحداث شعائر معظمة ليس عليها أثارة من كتاب أو سنة، ومن تعظيمها نبذ ما لا يستحق التعظيم كالقبور والأضرحة والمزارات المحرمة، ومن تعظيمها عدم إحداث الأزمان المبتدعة كالموالد البدعية والأعياد الوطنية ونحوها مما يوهن إتيانه تعظيم شعائر الله واستبدالها بشعائر مبتدعة.

الثالثة: أهمية التواصي بالحق وبث النصح بين الناس، وحراسة جناب التوحيد، وإقامة العدل:

ولاشك أن من أعظم التواصي بالحق نشر العلم كي ينكشف به الجهل وترتفع به راية السنة، وتكون المعذرة إلى الله: ((وَإِذْ قَالَتْ أُمَّةٌ مِنْهُمْ لِمَ تَعِظُونَ قَوْماً اللَّهُ مُهْلِكُهُمْ أَوْ مُعَذِّبُهُمْ عَذَاباً شَدِيداً قَالُوا مَعْذِرَةً إِلَى رَبِّكُمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ)) [الأعراف:١٦٤]، وقال تعالى: ((رُسُلاً مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى اللَّهِ حُجَّةٌ بَعْدَ الرُّسُلِ وَكَانَ اللَّهُ عَزِيزاً حَكِيماً)) [النساء:١٦٥] فالرسل وأتباعهم من الدعاة هم مبلغو حجة الله على عباده.

قال تعالى: ((وَلا يَصُدُّنَّكَ عَنْ آيَاتِ اللَّهِ بَعْدَ إِذْ أُنزِلَتْ إِلَيْكَ وَادْعُ إِلَى رَبِّكَ وَلا تَكُونَنَّ مِنَ الْمُشْرِكِينَ)) [القصص:٨٧].. ((فَلِذَلِكَ فَادْعُ وَاسْتَقِمْ كَمَا أُمِرْتَ)) [الشورى:١٥].. ((ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ)) [النحل:١٢٥].. ((وَادْعُ إِلَى رَبِّكَ إِنَّكَ لَعَلَى هُدًى مُسْتَقِيمٍ)) [الحج:٦٧].

وقال تعالى: ((قُلْ هَذِهِ سَبِيلِي أَدْعُوا إِلَى اللَّهِ عَلَى بَصِيرَةٍ أَنَا وَمَنِ اتَّبَعَنِي وَسُبْحَانَ اللَّهِ وَمَا أَنَا مِنَ الْمُشْرِكِينَ)) [يوسف:١٠٨].

فهذه النصوص وغيرها تدل على إيجاب الدعوة والبذل لها والاستقامة عليها، وأنها هي الصراط المستقيم، ولا شك أن من أعظم أنواع الدعوة دعوة الناس إلى هدي رسول الله صلى الله عليه وسلم: ((لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى اللَّهِ حُجَّةٌ بَعْدَ الرُّسُلِ)) [النساء:١٦٥].

والحمد لله رب العالمين وصل اللهم على نبينا محمد وآله وصحبه وسلم.

# عز الدين القســـــام

سليمان السويد

الحمد لله العلي الأعلى، والصلاة والسلام على خير من طاف بالبيت وصلى، وعلى آله وصحبه.

أما بعد:

فمحدثنا لهذا اليوم لم ينتقد الصوفية كمسمى، لكنه نقد أصولاً تبنى عليها الصوفية؛ مما يجعل النقد موجهاً للصوفية شكلاً ومضموناً...

ومحدثنا اليوم علم في سماء تاريخنا المعاصر في مقام تتقاصر دونه النفوس، ألا وهو مقام الجهاد وبذل النفس، وقد بلغ محدثنا فيه منتهاه –نحسبه كذلك والله حسيبه– حيث قتل في ساحات المعارك ضد اليهود وجالبيهم.. ألا وهو الشيخ: عز الدين القسام رحمه الله تعالى السوري مولداً، الفلسطيني موتاً، فشيخنا مع أنه كان مشغولاً بجهاده ضد الفرنسيين في سوريا، ثم اليهود والإنجليز في فلسطين، إلا أن ذلك لم يمنعه من الصدع بكلمة الحق في وجه البدعة وحامليها، ومن هذا إنكاره لبعض البدع التي كانت في عصره؛ مما أثار عليه المبتدعة والمتنفعين، وكان رحمه الله تعالى قد أنكر تشييع الجنائز بالتهليل ورفع الصوت، وكذلك التمسح بقبور الأنبياء والصالحين، وأن هذا من البدع المنكرة.

فقال رحمه الله تعالى رداً على من أنكر عليه قوله هذا: (أما مسألة تشييع الجنائز بالتهليل والدعاء برفع الصوت والضجة المعلومة، وزيارة ضرائح الأنبياء والأولياء ومقاماتهم بالكيفية المعروفة، من التمسح والتلمس بالقبور، وارتكاب الآثام، واختلاط الرجال بالنساء على وجه التهتك، والإسراف في الأموال في غير طرقها الحيوية والدينية، والاشتغال بذلك عن الضروريات، فالحكم فيه يعلمه صبيان المكاتب فضلاً عن العلماء، وهو بدعة منكرة في جميع مذاهب المسلمين، لم يفعله رسول الله صلى الله عليه وسلم، ولا الخلفاء الراشدون، ولا الصحابة والتابعون، ولا الأئمة المجتهدون رضوان الله عليهم أجمعون).

وقال في رده ذلك أيضاً: " إن البدع صغيرها وكبيرها من أعظم الأضرار على هذه الأمة، وأنى لمن لم يتحلى بالسنن ولم يجتنب الرذائل أن يتصف بالفضائل، وكنت أرجو أن تكونوا أول مقاوم لمن يخالف السنة ويباين الشرع..".

وقد كان هذا الرد عبر مقال صحفي نشره الشيخ في جريدة (الكرمل) في حيفا بتاريخ: (٦/٦/ ١٩٢٥) رداً على مقال نشر في جريدة اليرموك والتي لم تقبل نشر مقال الشيخ القسام فنشره في الكرمل(١).

وبعد هذا صعد المخالفون الهجوم على القسام، وعلى الشيخ محمد كامل القصاب، والذي كان قد أفتى ببدعية رفع الأصوات خلف الجنائز؛ مما اضطرهم لكتابة رد عليهم، فألفا كتاباً بعنوان: (النقد والبيان في دفع أوهام خيزران).

جاء فيه قولهما (ص ٥٠): (مع أنه لا عموم ولا خصوص في حديث كل بدعة ضلالة كما يقول، بل كل بدعة في الشرع ضلالة بلا تخصيص؛ لأن العلماء الراسخين ذكروا أن الأحاديث الصحاح الواردة في ذم البدع مطلقة عامة، لم تتقيد ولم تتخصص بشيء من رواية ولا طريق، وليس لأحد أن يخصص ويقيد مطلقات الشرع، وعمومات الأدلة الصحيحة..... والذم لها يقتضي أن لا يكون شيء منها مستحسناً أبداً؛ ولهذا لم يقل جماعة من السلف والخلف والمحدثين بتقسيم البدعة في الدين إلى خمسة أنواع... بل صرحوا صراحة لا مزيد عليها، بأن كل بدعة ضلالة، يدل لذلك.....

وقد بين ذلك الإمام المحدث الأصولي أبو إسحاق الشاطبي الغرناطي في كتابه " الاعتصام "... فقال: " إن ذم البدع والمحدثات عام، لا يخص محدثة دون غيرها، وذلك من وجوه " ثم ساقها.

ومما أنكراه في كتابهما بدعة (التوحيش)، وهي: إنشاد الأشعار من على المنابر توديعاً لرمضان، وتعبيراً عن الوحشة من فراقه. (ص: ٥٩ و ٨٥ و٨٧).

وكذلك تخصيص قراءة سورة الكهف في المساجد يوم الجمعة. (ص: ٧١).

وكذلك أنكرا قراءة الدعاء المخصوص المعروف بين الناس في ليلة النصف من شعبان. (ص: ٧١ و ٧٩ و ٨١).

وفي كتابهما لم يشددا في قراءة سيرة الرسول صلى الله عليه وسلم في المولد، ولكنهما قالا: " على أن الاحتفال بقراءة قصة المولد النبوي ليست سنة الخلفاء الراشدين، فيعض عليها بالنواجذ، ولا فعلها أحد من أهل القرون الثلاثة الفاضلة التي هي خير القرون الإسلامية، بشهادة الرسول صلى الله عليه وسلم؛ وإنما أحدثها الملك المظفر التركماني الجنس، صاحب إربل، ثم صارت عادة متبعة، وسنة مبتدعة، وشعاراً دينياً (ص: ٧٨) وانظر (ص: ٧٥).

وبهذا يظهر تمسك الشيخ رحمه الله تعالى بدلالات الكتاب والسنة، وبما يجمع عليه الصحابة عليهم رضوان الله، ورفض ما خالف فعلهم، وليس كحال من جعل القدوة بقول وفعل شيخ الطريقة، ثم يبحث له عن مستمسك من نصوص الوحيين، ولو بلي أعناقها لتدل على قول الشيخ وفعله.

ولما كان موقف الشيخ من البدعة والمبتدعة واضحاً رماه مخالفوه بالوهابية (كما في البيان، ص: ٥٢).

الهـــوامش

(١) عن كتاب الوعي والثورة لسميح فودة (ص: ٦٤ و١٣٨ و١٣٩).

# السماع والذكر عند الصوفية

د. محمد أحمد لوح

الحمد لله، وصلى الله وسلم وبارك على سيدنا محمد وعلى آله وصحابته أجمعين.

وبعد:

إن من الأعمال التي أضافها أصحاب الفكر الصوفي إلى موضوع الذكر، وعدوها من صميم العبادات، والطقوس المعتبرة في الشريعة الصوفية، لون آخر يسمونه: السماع، وهو عبارة عن اللحن والغناء والاستماع إليه والرقص.

ويبدو أن السماع له وزنه واعتباره في الفكر الصوفي، وفي سلوك الصوفية منذ وقت مبكر، ويدل عليه أن معظم المؤلفين المعتبرين في التصوف اهتموا به اهتماماً كبيراً، فعقدوا له أبواباً وفصولاً خاصة في مصنفاتهم، مثل ما صنع السراج في اللمع(١)، والقشيري في رسالته(٢)، والسهروردي في عوارف المعارف، حيث عقد أربعة أبواب في السماع(٣)، والغزالي في الإحياء(٤).

هذا ونلاحظ أنه قد بلغ مجموع ما ألف في موضوع السماع نيفاً وخمسين مؤلفاً بين مؤيد وناقد؛ مما يؤكد خطورة المسألة وتفاقمها.

لكن أكثر الباحثين والمحققين ناقشوا هذا الموضوع ضمن مناقشتهم لمسألة الغناء واللهو، وطردوا حكم الغناء على حكم السماع، فحرموه مقيداً بقيود تحريم اللهو واللعب.

لكننا إذا دققنا النظر وأمعناه في هذه المسألة نجدها أكبر من ذلك بكثير؛ لأن الرقص والغناء بالألحان المعبر عنها بالسماع يقصد بها العبادة لله تعالى، فهي بذلك تتضمن محظوراً أكبر من مجرد الغرق في اللهو واللعب، وهو جعل هذا اللهو ديناً مشروعاً يتقرب به إلى الله، ويدلنا على ذلك أمور:

الأول: قول القشيري: سمعت أبا علي الدقاق يقول: السماع حرام على العوام؛ لبقاء نفوسهم، مباح للزهاد؛ لحصول مجاهداتهم، مستحب لأصحابنا؛ لحياة قلوبهم(٥).

نلاحظ الآتي:

أ- صرح بكون السماع من جملة العبادات؛ لأنه مستحب لهذه الفئة من الناس، والاستحباب حكم شرعي لا يجوز إثباته بدون دليل شرعي، ولاعتقادهم أن السماع عبادة كانوا يحثون الناس عليه ويرغبونهم فيه، فنقل القشيري عن الجنيد أنه قال: تنزل الرحمة على الفقراء – يعني: الصوفية - في ثلاثة مواطن: أولها: السماع(٦).

ب- قوله: (حرام على العوام) يدل على حرصهم على السماع مع شدة الحرص على اكتساب احترام العوام لهم؛ لأنهم إن خالطوهم في مواطن السماع رأوا ما يحصل منهم من منكرات؛ فيسقط الوقار، وتضعف عوامل تقديسهم في نفوس المريدين.

وفي هذا الصدد يقول الجنيد محذراً المبتدئين من ذلك: إذا رأيت المريد يحب السماع فاعلم أن فيه بقية البطالة. ويقول: السماع يحتاج إلى ثلاثة أشياء: الزمان، والمكان، والإخوان(٧).

والمشهد الآتي يبين مدى حرص القوم على احتكار مجالسهم في الغناء والرقص، وعلى ألا يُدْخِلونها مَن ليس في طبقتهم وهم (الإخوان) في عبارة الجنيد.

لما دخل ذو النون المصري بغداد اجتمع إليه الصوفية ومعهم قوال –يعني: مغنياً- استأذنوه أن يقول بين يديه شيئاً، فأذن له فابتدأ يقول:

صغير هواك عذبني

فكيف به إذا احتنكا(٨)

وأنت جمعت من قلبي

هوىً قد كان مشتركا

أما ترثي لمكتئب

إذا ضحك الخلي بكى

فقام ذو النون وسقط على وجهه والدم يقطر من جبينه... ثم قام رجل من القوم يتواجد - يظهر أنه من الدخلاء أو العوام الذين تحرم عليهم المشاركة- فقال له ذو النون زاجراً: ((الَّذِي يَرَاكَ حِينَ تَقُومُ)) [الشعراء:٢١٨]، فجلس الرجل.

وعلق القشيري على الحدث بأن ذا النون نبه الرجل بأن

ذلك ليس مقامه، وكان ذلك الرجل صاحب إنصاف، حيث قبل منه ذلك فرجع وقعد(٩).

أما الغزالي فعلق عليه بقوله: وكان ذلك إطلاعاً من ذي النون على قلبه أنه متكلف متواجد، فعرفه أن الذي يراه حين يقوم هو الخصم في قيامه لغير الله تعالى، ولو كان الرجل صادقاً لما جلس(١٠).

ولا شك أن هذا تصرف ذكي من الصوفية، فإن التلميذ المبتدئ إذا اطلع على هذه المخازي قد يهتدي بفطرته التي لم تلوث بعد إلى إدراك بطلانها، فيسقط الشيخ من عينيه، وهذا ما لا يريدون وقوعه، ولا سيما أن القشيري نقل أن السماع فيه نصيب لكل عضو: فما يقع إلى العين تبكي، وما يقع إلى اللسان يصيح، وما يقع على اليد تمزق الثياب وتلطم، وما يقع إلى الرجل يرقص(١١)، فالشيخ لا يحب- وحق له ذلك- أن يبكي ويصيح، ويمزق ثيابه، ويلطم وجهه ويرقص بحضور تلميذه.

ويبدو أن الغزالي تفطن لهذا الأمر؛ فوجه تحذيراً لطيفاً إلى الشيوخ حثهم فيه على التقليل من الرقص حسب الإمكان، فقال: لا يليق اعتياد ذلك بمناصب الأكابر وأهل القدوة؛ لأنه في الأكثر يكون عن لهو ولعب، وما له صورة اللعب واللهو في أعين الناس فينبغي أن يجتنبه المقتَدى به؛ لئلا يصغر في أعين الناس فيترك الاقتداء به(١٢).

لكن هذا التحذير من أبي حامد لم يلق آذاناً صاغية من هؤلاء الأكابر؛ لأن المسألة مسألة تعبد- في اعتقادهم- وعليه فليس من السهل القضاء على هذه الظاهرة إلا ببيان بدعيتها، وكونها مخالفة للهدي النبوي، وهذا ما لم يكن ليتوقع من الغزالي الذي خصص مساحة كبيرة في إحيائه للدفاع عن السماع، ومن هنا وجدنا - حسبما تؤكد المصادر الصوفية- أن أمر السماع والرقص وصل في القرن السادس والسابع إلى حد خطير، حيث إن الأكابر زاحموا الراقصين المحترفين، ونافسوهم في الشهرة والمقدرة على الرقص، بل استغلوا عواطف الجماهير وسلطاتهم الدينية حتى كسبوا كثيراً من المعارك (الفنية) التي كانت تدور رحاها في تلك الحقبة من الزمن.

وفيما يلي مشهد من تلك المشاهد يصور لنا جانباً منها، وهو: أن الشيخ فخر الدين الفارسي الصوفي كان من أكابر المشهورين تزوره الملوك والأعيان، فحدث أن أحد صلحاء القرافة مات فعمل له أصحابه (عرساً)! ودعوا إليه خلقاً كثيراً، وأحضروا قوالاً كان قد انفرد بالغناء في وقته يقال له: الفصيح، وكان في أول شهرته وإقبال الناس عليه، وكان شاباً حسن الصورة، فلما اجتمعوا قالوا: من المصلحة أن نعلم الشيخ فخر الدين بهذه الصورة قبل أن نفعلها، فمضوا إليه وأعلموه، فقام معهم وحضر بحرمته العظيمة وهيئته المحترمة، وأصحابه حوله وبين يديه، فلما هدأ المجلس بالجميع، وأخذ الناس محدقين بالشيخ ينتظرون ما يصدر عنه، أنكر الشيخ الاجتماع لمثل هذا الشخص، وفوراً هرب الفصيح خوفاً من الشيخ؛ مما أدى إلى إثارة سخط غالبية الحاضرين، فعلم الشيخ ذلك منهم، فتكلم، فقال: ضمان السماع علي، ثم أشار إلى صوفي يقال له: علي بن الزرزور بأن يجلس بين الجموع ويغني، فلما غنى وبلغ المدى في غناه قام الشيخ فخر الدين ووضع عمامته على الأرض، ورقص بهيئته وحرمته، فما بقي على الأرض إلا من طرب، وكشف الناس رءوسهم صارخين وقتاً طويلاً، وحمدوا الله إذ عوضهم من الشيخ وسماعه وبجلالة قدره ما فاتهم من قوال كانوا يفتتنون به(١٣).

انظر إلى فعال هذا الشيخ وكيف احتال على هذا القوال مستخدماً مركزه الديني الصوفي، وعواطف الناس نحوه وثقتهم فيه، وهو موصوفٌ بأنه آمرٌ بالمعروف ناهٍ عن المنكر، كما في ترجمته في ذلك الكتاب!

الثاني: مما يدل على كون السماع عندهم من الدين أن أبا الفضل بن طاهر المقدسي الصوفي (ت: ٥٠٧ هـ) بعد أن أورد ما ظنه أدلة على مشروعية السماع قال: فهذا رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، وأصحابه، والأولياء قد اجتمعوا للسماع، وتواجدوا ورقصوا في اليقظة والنوم، فكيف ينكره أحد اليوم؟ وما كان كذلك فهو دين معروف(١٤).

فقد صرح في هذا النص بأن الرقص والسماع دين معروف.

الثالث: أنهم حاولوا أن يستدلوا عليه بالنصوص الشرعية، وهي نصوص إما استخدموها في غير ما تدل عليه، وإما لا تصح نسبتها إلى الشارع، وفيما يلي سرد أهمها:

أ- استدل القشيري على السماع بالألحان، بقوله تعالى: ((فَبَشِّرْ عِبَادِ الَّذِينَ يَسْتَمِعُونَ الْقَوْلَ فَيَتَّبِعُونَ أَحْسَنَهُ)) [الزمر:١٧، ١٨] قال: ووجهه أن اللام في قوله: (القول) تقتضي التعميم والاستغراق...

ب- واستدل بالسنة التقريرية، فقال: ولا خلاف أن الأشعار أنشدت بين يدي رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، وأنه سمعها ولم ينكر عليهم في إنشادها، فإذا جاز استماعها بغير الألحان الطيبة فلا يتغير الحكم بأن يسمع

بالألحان(١٥).

ج- واستدل بالقياس، حيث قال: والجمل يقاسي تعب السير ومشقة الحمولة؛ فيهون عليه بالحداء(١٦) وقال الله تعالى: ((أَفَلا يَنْظُرُونَ إِلَى الإِبِلِ كَيْفَ خُلِقَتْ)) [الغاشية:١٧](١٧).

والجواب على هذه الشبهات أن يقال: يلزم من الاستدلال الأول جواز سماع كل قول مهما كان ماجناً وفاحشاً، وهذا باطل، وهو ما حاولوا تقريره ونسبته إلى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، فقال القشيري:

وقد روي أن رجلاً أنشد بين يدي رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم:

أقبلت فلاح لها عارضان كالسبج(١٨)

أدبرت فقلت لها والفؤاد في وهج

هل علي ويحكما إن عشقت من حرج

فقال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: {لا}(١٩).

وذكر القرطبي بأن هذا الحديث مما لا يوجد مسنداً، ولا أخرجه في كتابه أحد من أئمة المحدثين، وإنما هي أحاديث مروجة، وأكاذيب مبهرجة وضعها الزنادقة وأهل المجون المخرفة، يرمون بذلك نسبة اللهو والمجون إلى الأنبياء والفضلاء(٢٠)، وكذلك اعترف محقق الرسالة عبد الحليم محمود بأن الحديث موضوع(٢١).

وأما ما استدل به من إنشاد الشعر فلا دليل فيه؛ لما يأتي:

أ- لأن إنشاد الشعر ليس هو محل النزاع، وهو غير السماع المتعارف عليه لدى المتصوفة.

ب- أنه ليس هناك ألحان ولا رقص، وهما شرطان في السماع الصوفي، وما أشار إليه بأن إضافة الألحان إلى إنشاد الشعر لا يغير حكمه فهو من العجائب التي تدل على شدة الإعراض عن السنة، والإقبال على البدعة مع ركوب صهوة العقل، وعدم الالتفات إلى النقل.

جـ- أن الذين كانوا ينشدون الشعر في عهد الرسول صلى الله عليه وآله وسلم ما كانوا يعتقدون أن ذلك من العبادات التي تَعبَّد الله بها عباده، وذلك يخالف ما عليه هؤلاء، حيث جعلوه ديناً، وشددوا النكير على من ينكر عليهم، وألصقوا بهم كل ما يستحقونه هم من الألقاب.

وأما القياس الذي جاء به فغريب، بل فاسد؛ لأن هذه الآية إنما تتحدث عن آيات الله الكونية التي منها خلق الإبل، وليس هنا ما يشير إلى مشاركة الإنسان لها في الخصائص حتى يقيس نفسه بها.

قال القرطبي في تفسير هذه الآية: لما ذكر الله عز وجل أهل الدارين تعجب الكفار من ذلك، فكذبوا وأنكروا، فذكرهم الله صنعته وقدرته، وأنه قادر على كل شيء كما خلق الحيوانات والسماء والأرض، ثم ذكر الإبل أولاً؛ لأنها كثيرة في العرب، ولم يروا الفيلة؛ فنبههم جل ثناؤه على عظيمٍ مِن خَلْقِه قد ذلَّله للصغير يقوده وينيخه وينهضه، ويحمل عليه الثقيل من الحمل... يدلهم بذلك على توحيده وعظيم قدرته(٢٢).

وفي الجملة: هذه الآية لا تدل على الغناء، ولا على الرقص، ولا على السماع الصوفي، لكن هؤلاء إذا أرادوا الاحتجاج على شيء مقرر عندهم توسعوا في القرآن والسنة، ووضعوهما في غير مواضعهما، وحادوا بهما عن سواء السبيل، وما أدق عبارة الإمام ابن الجوزي حين قال: والعجب من ورعهم في الطعام، وانبساطهم في القرآن(٢٣).

هذا وقد رد ابن الحاج على هذا القياس فقال: انظروا يا ذوي الألباب! كيف قادهم ركوب الهوى وعشق الباطل، وقلة الحيلة إلى هذه السخافة! وحَسْبُكَ مِن مَذهَبٍ إمامُهم فيه الأنعام... وهكذا يفضح الله تعالى من اتبع الباطل، وحسبك من عقول لا تقتدي بأحبار المسلمين وعلمائهم وتقتدي بالإبل، فلئن كان كل ما طربت به البهائم مندوباً أو مباحاً فإنا نرى البهيمة تدور على أمها وأختها، وتركب بنتها، فيلزم الاقتداء بالبهيمة في مثل هذا(٢٤).

ومن شبهاتهم في مشروعية السماع: ما ذكره الغزالي حيث قرر أن اللحن يجوز السرور به، وكل ما جاز السرور به جاز إثارة السرور فيه، قال: ويدل على هذا من النقل إنشاد النساء على السطوح بالدف والألحان عند قدوم رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم:

طلع البدر علينا

من ثنيات الوداع

وجب الشكر علينا

ما دعا لله داع

فهذا فيه إظهار السرور؛ لقدومه صلى الله عليه وآله وسلم، وهو سرور محمود، فإظهاره بالشعر والنغمات والرقص والحركات أيضاً محمود(٢٥).

والجواب: أن هذا الخبر أخرجه البيهقي في دلائل النبوة(٢٦)، من حديث ابن عائشة معضلاً، وليس فيه ذكر للدف والألحان.

وعزاه العراقي إلى البيهقي، غير أنه قال: من حديث عائشة(٢٧).

والذي في سند البيهقي: أخبرنا أبو نصر بن قتادة أخبرنا

أبو عمرو بن مطر قال: سمعت أبا خليفة يقول: سمعت ابن عائشة يقول: لما قدم النبي صلى الله عليه وآله وسلم المدينة.... فذكره.

وابن عائشة هذا اسمه عبيد الله بن محمد بن حفص، ثقة توفي سنة (٢٢٨ هـ).

والحاصل:

١- أن رفع الخبر إلى النبي صلى الله عليه وآله وسلم ضعيف رواية، بل أشار القرطبي إلى كونه كذباً(٢٨).

٢- ليس فيه ذكر الألحان.

٣- لو فرض ثبوته لم يكن فيه دليل على السماع الصوفي؛ لأن الغناء لم يقع على وجه الذكر والعبادة.

والحجج التي تمسك بها الغزالي كلها من هذا القبيل أو أدنى، حتى قال ابن الجوزي: وقد احتج لهم أبو حامد الطوسي بأشياء نزل فيها عن رتبته في الفهم(٢٩).

ومما تمسكوا به في مشروعية الرقص المرافق للسماع: حديث أن النبي صلى الله عليه وآله وسلم قال لعلي: {أنت مني وأنا منك؛ فحجل علي، وقال لجعفر: أشبهتَ خَلْقي وخُلُقي؛ فحجل وراء علي، وقال لزيد: أنت أخونا ومولانا؛ فحجل زيد وراء جعفر}.

حيث قال الغزالي:

وقد روي عن جماعة من الصحابة رضي الله عنهم أنهم حجلوا لما ورد عليهم سرور أوجب ذلك في قصة ابنة حمزة، لما اختصم فيها علي بن أبي طالب وأخوه جعفر وزيد بن حارثة رضي الله عنهم... ثم ذكر القصة. وقال في التعليق: والحجل هو الرقص(٣٠).

وقال ابن طاهر: ومما يدل على صحة الرقص ما روي أن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قال لعلي... فذكر القصة(٣١).

ذكر ابن طاهر عدداً من الشبه التي سماها حججاً كلُّها ساقطة لا تستحق الرد، حتى قال ابن الجوزي: وقد استدل لهم محمد بن طاهر بأشياء لولا أن يعثر على مثلها جاهل فيغترلم يصلح ذكرها؛ لأنها ليست بشيء(٣٢).

وقال الشيخ الفوتي: فإذا انضم إلى هذا القيام رقص أو وجد ونحوه فلا إنكار عليهم؛ فإن ذلك من لذات الشهود والمواجيد، وقد ورد في بعض طرق الحديث رقص جعفر بن أبي طالب بين يدي رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، حين قال له: {أشبهتَ خَلْقي وخُلُقي}، من لذة هذا الخطاب، ولم ينكر عليه النبي صلى الله عليه وآله وسلم فكان هذا أصلاً في الجملة في رقص الصوفية ووجدهم مما يدركونه من لذات المواجيد(٣٣).

والجواب: أن يقال لهم: أثبتوا العرش أولاً ثم انقشوا، فهذا الحديث لا يصلح حجة لما ذهبوا إليه؛ وذلك لما يأتي:

أولاً: هذا الحديث جاء موصولاً ومقطوعاً، وجاء بزيادة ذكر الحجل وبدونها.

أما الموصول ففي حديث البراء، وعلي، وابن عباس، وجابر، وعبيد الله بن أسلم مولى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم.

أما حديث البراء: فقد رواه البخاري(٣٤)، والترمذي(٣٥)، والبيهقي في سننه(٣٦)، كلهم من طريق عبيد الله بن موسى عن إسرائيل عن أبي إسحاق عنه.

وأما حديث علي: فقد رواه أحمد في مواضع من مسنده(٣٧)، والطحاوي في المشكل(٣٨)، والحاكم في المستدرك(٣٩)، والبيهقي في موضعين من السنن الكبرى(٤٠)، كلهم من طريق إسرائيل عن أبي إسحاق عن هانئ بن هانئ، ومعه هبيرة بن يريم في روايتي أحمد، وإحدى روايتي البيهقي عن علي.

وأما حديث ابن عباس: فقد رواه أحمد(٤١) بإسناد فيه حجاج بن أرطاة، ومقسم بن بجرة.

وأما حديث جابر: فرواه الطبراني في الأوسط مطولاً، بإسناد فيه مكي بن عبيد الله الرعيني.

وأما حديث عبيد الله بن أسلم: فقد رواه أحمد(٤٢)، بإسناد فيه ابن لهيعة.

وأما المقطوع: فقد جاء من حديث أبي جعفر محمد بن علي بن الحسين بن علي، رواه ابن سعد(٤٣)، ومن حديث قتادة، رواه عبد الرزاق(٤٤).

وليس في هذه الروايات كلها ذكر الحجل إلا في رواية ابن سعد، وإحدى روايات أحمد(٤٥)، وفي روايتي البيهقي، وكلها ضعيفة لا تصلح للاحتجاج.

أما رواية ابن سعد فمعضل؛ لأن محمد بن علي لم يسمع من جده الحسين فضلاً عن جد أبيه علي بن أبي طالب(٤٦).

وأما الروايات الباقية ففيها:

١- عنعنة أبي إسحاق السبيعي، وهو مدلس من الثالثة.

٢- أنها جميعاً من رواية هانئ بن هانئ، وهو مجهول(٤٧).

وبهذا يظهر تقصير محقق كتاب كشف القناع، حيث اكتفى بقوله: أخرجه الإمام أحمد... وأصل الحديث في البخاري والترمذي(٤٨).

وبمناسبة بيان ضعف هذه الأخبار التي يستدل بها هؤلاء

القوم في تقرير العقيدة والشريعة أذكر قول شيخ الإسلام ابن تيمية: وهكذا عامة أهل البدع لا يميزون بين الحديث الصحيح وغير الصحيح، لكن ما وافق آراءهم وأهواءهم كان هو الحق عندهم، وإن كان راويه قد اختلقه على الرسول صلى الله عليه وآله وسلم، وما خالف ذلك دفعوه، بخلاف أهل السنة وعلماء الأمة الذين يقصدون متابعة الرسول، والاستنان بسنته، والعمل بشريعته... فإن هؤلاء يميزون بين ما قاله الرسول، وما قاله غيره، وما نقل عن الرسول، فيميزون بين الصدق والكذب، والصحيح والضعيف(٤٩).

ثانياً: لو فرضنا ثبوت الخبر فإننا لا نسلم بأن الحجل هو الرقص والغناء واللحن الذي يدور حوله البحث والنزاع؛ لأن مصادر اللغة تؤكد أن الحجل نوع من المشي ربما قصد به التعبير عن الفرح.

ففي القاموس: حجل... رفع رِجلاً وتريث في مشيته على رجله(٥٠). وفي اللسان: والحجل مشي المقيد، وحجل يحجل حجلاً إذا مشى في القيد، ثم نقل خبر جعفر مستدلاً به على أنه قفز من الفرح(٥١).

وفي المختار: حجل يحجل... إذا نزا في مشيته(٥٢)، والفرق واضح بين رقص الراقص الذي يتخذ ما يلزمه من آلات اللهو والمعازف، ويرقص على تلك الأنغام، وبين مشي من يمشي مشية معينة، ويدور معبراً عن فرحته، ويؤيد هذا ما جاء في رواية ابن سعد حيث قال: {فقام جعفر فحجل حول النبي صلى الله عليه وآله وسلم دار عليه، فقال النبي صلى الله عليه وآله وسلم: ما هذا؟ قال: شيء رأيت الحبشة يصنعونه بملوكهم}(٥٣).

قال ابن الجوزي بعد أن ذكر استدلالهم بقصة الحجل: أما الحجل فهو نوع من المشي يفعل عند الفرح، فأين هو من الرقص؟(٥٤).

ثالثاً: لو سلمنا أن الحجل رقص فعلاً، فإنه لا يعدو كونه تعبيراً عن الفرح والسرور، وليس المقصود منه العبادة على غرار ما يقصد هؤلاء الصوفية من رقصاتهم عند الذكر، ومن المؤسف حقاً: أن هؤلاء الصوفية روجوا لهذا السماع ترويجاً وصل إلى حد التأثر به أكثر مما يتأثرون بالقرآن الكريم، وباعترافهم هم، وإليك الدليل:

الشيخ يوسف بن الحسين الرازي (ت:٣٠٤هـ) أتاه زائر - وهو أبو الحسين الدراج- من بغداد إلى الري، فوجده وقد فتح المصحف يقرأ فيه، فأنشده الزائر:

رأيتك تبني دائباً في قطيعتي
ولو كنت ذا حزم لهدمت ما تبني

قال أبو الحسين: فأطبق المصحف، ولم يزل يبكي حتى ابتلت لحيته وثوبه، حتى رحمته من كثرة بكائه، ثم قال لي: من وقت الصلاة هو ذا أقرأ القرآن فلم تقطر من عيني قطرة، وقد قامت علي القيامة بهذا البيت(٥٥).

فهذا اعتراف من هذا الشيخ بأن القوم لا يتأثرون بالقرآن تأثرهم بالسماع، والسبب - كما يحلل الدكتور هلال- هو أن تأثرهم وتحركهم في الحقيقة إنما هو للحن، والنغمة الموسيقية التي يختارها الموقّع حسب هوى نفوس المستمعين، وحسبما يريد من نوع الإثارة(٥٦).

ولذا وصفه الشعراني فقال: وكان... إذا سمع القرآن لا تقطر له دمعة، وإذا سمع شعراً قامت قيامته(٥٧).

وذكر القصة ابن الجوزي(٥٨) بعد أن مهد لها بقوله:

وقد نشب السماع بقلوب خلق منهم، فآثروه على قراءة القرآن، ورقت قلوبهم بما لا ترق عند القرآن، وما ذاك إلا لِتَمَكُّنِ هوىً باطنٍ، وغلبةِ طبعٍ، وهُمْ يظُنون غير هذا.

وقال الحافظ ابن القيم منكِراً على فرقة الصوفية التي آثرت السماع على قراءة القرآن:

تُلِيَ الكِتَابُ فأَطْرَقُوا لا خِيفَةً
لكنه إطراقُ ساهٍ لاهي
وأَتَى الغناءُ فكَالذُّباب تراقصوا
واللهِ ما رَقَصُوا لأجلِ اللهِ
دُفٌّ ومِزْمارٌ ونغمةُ شاهِدٍ
فمتى شهِدْتَ عبادةً بملاهِي
تَتْلُ الكِتابُ عليهم لَمَّا رأوا
تقييدَه بأوامر ونواهِي
وعليهمُ خَفَّ الغِنا لما رأوا
إطلاقَه في اللهوِ دون مناهِي
يا فرقةً ما ضَرَّ دينَ محمدٍ
وجَنَى عليه وملّه إلاَّ هِي
سمعوا له رعداً وبرقاً إذ حوى
زجراً وتخويفاً بفعل مناهِي
ورأوه أعظَمَ قاطعٍ للنفس عن
شهواتِها يا ويحَها المُتناهِي
وأَتَى السماع موافقاً أغراضَها
فلأجلِ ذاك غدا عظيمَ الجاهِ
إنْ لم يكن خمرَ الجُسوم فإنَّه
خمرُ العقولِ مماثلٌ ومُضاهِي

فانظر إلى النشوان عند شرابه
وانظر إلى النشوان عند تلاهِي
وانظر إلى تمزيق ذا أثوابه
من بَعدِ تمزيق الفؤاد اللاهي
فاحْكُم بأي الخمرتَين أحقُّ بالـ
ـتحريمِ والتأثيمِ عند اللهِ(٥٩)

بل يبدو أنهم كانوا يتحمسون للسماع والرقص أكثر مما ينشطون عند أداء الصلاة، حتى إن الشيخ عبد الله الوزان كان مقعداً لا يصلي إلا قاعداً، وكان في السماع إذا ظهر به وجد يقوم ويستمع(٦٠).

ونظراً لتفشي السماع في المجتمع الصوفي منذ وقت مبكر فإننا نجد أن بعض الشيوخ تبرموا منه، فهذا الجيلاني يقول: إنه لا يرى السماع والقول والقصب(٦١) والرقص، ويذكر أن أهل زمانه قد لهجوا بذلك في أربطتهم ومجامعهم، ويذكر أن في الاستئناس بالله مندوحة عن الأشعار، والقيانة والأصوات، وصراخ المدعين شركاء الشياطين(٦٢).

قلت: وهذه قاصمة ظهر لأتباع الطريقة القادرية؛ لأنهم معروفون بالتغني بالأشعار مع دق الطبول، وإذا تقرر هذا كله فليعلم أنه إذا كان هناك ما يمكن أن يطلق عليه السماع عند السلف الصالح فهو سماع آيات القرآن.

يقول شيخ الإسلام: فأما السماع الذي شرعه الله تعالى لعباده، وكان سلف الأمة من الصحابة والتابعين وتابعيهم يجتمعون عليه؛ لصلاح قلوبهم، وزكاة نفوسهم، فهو سماع آيات الله تعالى، وهو سماع النبيين والمؤمنين، وأهل العلم وأهل المعرفة... وبهذا السماع أمر الله تعالى كما قال تعالى: ((وَإِذَا قُرِئَ الْقُرْآنُ فَاسْتَمِعُوا لَهُ وَأَنصِتُوا لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ)) [الأعراف:٢٠٤] وعلى أهله أثنى، كما في قوله تعالى: ((فَبَشِّرْ عِبَادِ ❖ الَّذِينَ يَسْتَمِعُونَ الْقَوْلَ فَيَتَّبِعُونَ أَحْسَنَهُ ))[الزمر:١٧- ١٨]... وكما أثنى على هذا السماع ذم المعرضين عن هذا السماع، فقال تعالى: ((وَإِذَا تُتْلَى عَلَيْهِ آيَاتُنَا وَلَّى مُسْتَكْبِرًا كَأَنْ لَمْ يَسْمَعْهَا كَأَنَّ فِي أُذُنَيْهِ وَقْراً)) [لقمان:٧](٦٣).

وهذا الذي ذكر شيخ الإسلام أنه حال الصحابة مع القرآن هو ما أكده الصحابة أنفسهم.

وروى ابن الجوزي بإسناده عن حصين بن عبد الرحمن قال: [[قلت لأسماء بنت أبي بكر: كيف كان أصحاب رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم عند قراءة القرآن؟ قالت: كانوا كما ذكرهم الله أو كما وصفهم عز وجل، تدمع عيونهم، وتقشعر جلودهم، فقلت: إن هاهنا رجالاً إذا قرئ على أحدهم القرآن غشي عليه فقالت: أعوذ بالله من الشيطان الرجيم]](٦٤).

ولهذا لما احتج الصوفية على الوجد والرقص بأنه بما نزلت ((وَإِنَّ جَهَنَّمَ لَمَوْعِدُهُمْ أَجْمَعِينَ)) [الحجر:٤٣]، صاح سلمان الفارسي صيحةً ووقع على رأسه ثم خرج هارباً ثلاثة أيام، رد عليهم الإمام ابن الجوزي بأمور منها ما عُرف من حال الصحابة. حيث قال: والجواب:

١- أن هذا محال وكذب.
٢- ثم ليس له إسناد.
٣- والآية نزلت بمكة وسلمان أسلم بالمدينة.
٤- ولم ينقل عن أحد من الصحابة مثل هذا أصلاً(٦٥).

وقال شيخ الإسلام أيضاً: وأما سماع المكاء والتصدية، وهو التصفيق بالأيدي والمكاء مثل الصفير ونحوه، فهذا سماع المشركين الذي ذكره الله تعالى في قوله: ((وَمَا كَانَ صَلاتُهُمْ عِنْدَ الْبَيْتِ إِلَّا مُكَاءً وَتَصْدِيَةً)) [الأنفال:٣٥](٦٦).

وقال: وأما الرقص فلم يأمر الله به ولا رسوله، ولا أحد من الأئمة، بل قد قال الله في كتابه: ((وَاقْصِدْ فِي مَشْيِكَ)) [لقمان:١٩]، وقال في كتابه: ((وَعِبَادُ الرَّحْمَنِ الَّذِينَ يَمْشُونَ عَلَى الأَرْضِ هَوْناً)) [الفرقان:٦٣] أي: بسكينة ووقار، وإنما عبادة المسلمين الركوع والسجود، بل الدف والرقص لم يأمر الله به، ولا رسوله، ولا أحد من سلف الأمة(٦٧).

ولو كان هذا مما يؤمر به ويستحب وتصلح به القلوب للمعبود المحبوب لكان ذلك مما دلت الأدلة الشرعية عليه(٦٨).

قلت: قوله: إنما عبادة المسلمين الركوع والسجود، لعله إشارة منه رحمه الله إلى أن العبادة بالرقص وسماع الأغاني بدعة يهودية، تسربت إلى المنتسبين إلى الإسلام بطريقة أو بأخرى، وهذا ما تأكد لي حين وقفت على نص في أحد أسفار العهد القديم عند اليهود يدعو إلى عبادة الله بالرقص والدف والغناء، يقول النص: هللوا يا غنوا للرب ترنيمة جديدة، تسبيحة في جماعة الأتقياء؛ ليفرح إسرائيل بخالقه، ليبتهج بنو صهيون بملكهم، ليسبحوا اسمه برقص بدف وعود، ليرنموا له؛ لأن الرب راضٍ عن شعبه... سبحوه برباب(٦٩) وعود.. سبحوه بدف ورقص.. سبحوه بأوتار ومزمار(٧٠).

ويؤكد أن الرقص كان ديناً معروفاً عند مبتدعي اليهود

ما ذكر القرطبي عن أحد العلماء حين سئل عن مذهب الصوفية في الرقص والتواجد حتى يقع أحدهم مغشياً عليه؟

فأجاب: مذهب الصوفية بطالة وجهالة وضلالة، وما الإسلام إلا كتاب الله وسنة رسوله صلى الله عليه وآله وسلم، وأما الرقص والتواجد فأول من أحدثه أصحاب السامري، لما اتخذ لهم عجلاً جسداً له خوار قاموا يرقصون حواليه ويتواجدون، فهو دين الكفار وعباد العجل.. إلى أن قال: فينبغي للسلطان ونوابه أن يمنعهم من الحضور في المساجد وغيرها، ولا يحل لأحد يؤمن بالله واليوم الآخر أن يحضر معهم، ولا يعينهم على باطلهم، هذا مذهب مالك، وأبي حنيفة، والشافعي، وأحمد بن حنبل، وغيرهم من أئمة المسلمين(٧١).

ولا ريب أن إنكار ما في هذا السماع وما رافقه من الألحان والرقصات إنما هو اتخاذهم إياه ديناً؛ لهذا يقول شيخ الإسلام: فإن طائفة من المتصوفة والمتفقرة تتخذ سماع الغناء ديناً، وإن لم تقل بألسنتها أو تعتقد بقلوبها أنه قربة، فإن دينهم حالٌ لا اعتقاد(٧٢)، فحالهم وعملهم هو استحسانها في قلوبهم ومحبتهم لها ديانةً وتقرباً إلى الله، وإن كان بعضهم قد يعتقد ذلك ويقوله بلسانه(٧٣).

ويقول: فمن اتخذ نظير هذا السماع عبادة وقربة يتقرب بها إلى الله فقد ضاهى هؤلاء في بعض أمورهم(٧٤).

يعني: المشركين الذين اتخذوا المكاء والتصدية عبادة.

يقول الشيخ أبو بكر الطرطوشي في كتابه المسمى بـ(كتاب النهي عن الأغاني):

وقد كان الناس فيما مضى يستتر أحدهم بالمعصية إذا واقعها، ثم يستغفر الله ويتوب منها، ثم كثر الجهل، وقل العلم، وتناقص الأمر، حتى صار أحدهم يأتي المعصية جهاراً، ثم ازداد الأمر إدباراً حتى بلغنا أن طائفة من إخواننا المسلمين- وفقنا الله وإياهم- استزلهم الشيطان، واستهوى عقولهم في حب الأغاني واللهو، وسماع الطقطقة، واعتقدته من الدين الذي يقربهم من الله تعالى، وجاهرت به جماعة من المسلمين(٧٥).

ومن العجائب أن هذه الرقصات والألحان المزعجة والحركات المهلكة هي قمة المثالية، وذروة القيم عند القوم، فسموه المبادئ السليمة، اسمع ما يقول هذا الصوفي الميرغني: فهل لرجال التصوف أن ينشروا مبادئهم السليمة...؟ هل لهم أن يفتحوا مدارسهم الروحية ذات المناهج العالية التي تُخرج لنا أمثال ابن عطاء، وأبي يزيد، وابن عربي، والغزالي؟ فنستعيد بذلك تلك الأنغام والألحان، وهذه الوثبات والنشوات، والمناجاة والخلوات، والإلهامات والمكاشفات التي تسمو فوق التصور والخيال(٧٦)؟

ولذا يقول المستشرق الصوفي المتخصص نيكولسن: وسرعان ما عرف الصوفية أن الانجذاب يمكن أن يستعان عليه بالصنعة، لا بجمع الفكر وبالذكر، وغيرها من طرق التنويم الذاتي وحدها، بل كذلك بالموسيقى والغناء والرقص، وهذه جميعاً تدخل تحت كلمة (السماع) التي لا تدل إلا على الاستماع للغناء(٧٧).

نختم القول في مسألة السماع بفتوى نفيسة لأحد العلماء المشهود لهم بالجمع بين الرواية والدراية والديانة، وَرَدَ على العلامة ابن قدامة المقدسي سؤال جاء فيه: ما تقول السادة الفقهاء... فيمن يسمع الدف والشبابة(٧٨) والغناء ويتواجد حتى إنه يرقص... مع اعتقاده أنه محب لله، وأن سماعه وتواجده ورقصه في الله؟!

فكان مما أجاب به قوله: إن فاعل هذا مخطئ ساقط المروءة، والدائم على هذا الفعل مردود الشهادة في الشرع غير مقبول القول، ومقتضى هذا أنه لا تقبل روايته لحديث رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، ولا شهادته برؤية هلال رمضان، ولا أخباره الدينية.

وأما اعتقاده محبة الله عز وجل، فإنه يمكن أن يكون محباً لله سبحانه مطيعاً له في غير هذا... وأما هذا فمعصية ولعب ذمه الله تعالى ورسوله، وكرهه أهل العلم وسمَّوه بدعة، ونهوا عن فعله، ولا يُتقرب إلى الله سبحانه بمعاصيه، ولا يطاع بارتكاب مناهيه.

ومن جعل وسيلته إلى الله سبحانه معصيته كان حظه الطرد والإبعاد، ومن اتخذ اللهو واللعب ديناً كان كمن سعى في الأرض بالفساد، ومن طلب الوصول إلى الله سبحانه من غير طريق رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وسنته فهو بعيد من الوصول إلى المراد(٧٩).

وجاء فيها أيضاً: ومن المعلوم أن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم كان شفيقاً على أمته، حريصاً على هداهم، رحيماً بهم، فما ترك طريقاً تهدي إلى الصواب إلا وشرعها لأمته، ودلهم عليها بفعله وقوله، وكان أصحابه من الحرص على الخير والطاعة والمسارعة إلى رضوان الله بحيث لم يتركوا خصلة من خصال الخير إلا تسابقوا إليها، فما نقل عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم، ولا عن أحد من صحابته أنه سلك هذه الطريقة الرديئة، ولا سهر ليلة في سماع يتقرب به إلى الله سبحانه، ولا قال: من رقص فله من الأجر كذا، ولا قال: الغناء ينبت الإيمان في القلب،

ولا استمع الشبابة فأصغى إليها وحسَّنها، أو جعل في استماعها وفعلها أجراً، وهذا أمر لا يمكن مكابرته.

وإذا صح هذا لزم أن لا يكون قربة إلى الله سبحانه، ولا طريقاً موصلاً إليه، ووجب أن يكون من شر الأمور(٨٠).

قلت: إن المسلم الناصح لنفسه، الحريص على بقاء دينه، إذا وقف على مثل هذا ارعوى وازدجر، وتخلى عن كل ما يمت إلى البدعة بصلة، واكتفى بما رضيه سلف هذه الأمة، فإنه كافٍ شافٍ ولله الحمد.

والله أعلم. وصلى الله على نبينا محمد وصحبه وسلم.

## الهـــوامش

(١) (ص:٣٣٨- ٣٧٤).

(٢) (ص:٦٣٧- ٦٥٩).

(٣) وهي الأبواب: (٢٢، ٢٣، ٢٤، ٢٥)، (ص:١٢٤- ١٤٧).

(٤) (١٩٢/٢- ٢٣٢).

(٥) الرسالة (ص: ٦٤٤).

(٦) المصدر السابق (ص:٦٤٥).

(٧) الرسالة (ص:٦٥٠).

(٨) احتنك: استولى. انظر: اللسان.

(٩) الرسالة (ص:٦٥٠).

(١٠) الإحياء (٣٢٠/٢).

(١١) الرسالة (ص:٦٥٧).

(١٢) الإحياء (٣٣١/٢).

(١٣) سير الأولياء (ص:١٢٢- ١٢٣).

(١٤) صفة أهل التصوف للمقدسي، عن كشف القناع (ص:١٥٩).

(١٥) الرسالة (ص:٦٣٧).

(١٦) الحداء: سَوق الإبل والغناء لها. مختار الصحاح، مادة (ح د و).

(١٧) الرسالة (ص:٦٤٢).

(١٨) الخرز الأسود. مختار الصحاح مادة (س ب ج).

(١٩) الرسالة (ص:٦٤٢).

(٢٠) كشف القناع عن حكم الوجد والسماع، (ص:١٠١- ١٠٢).

(٢١) الرسالة (ص:٦٤١) الحاشية.

(٢٢) الجامع (٣٤/٢٠- ٣٥).

(٢٣) تلبيس إبليس (ص:١٥٩).

(٢٤) المدخل (١١٠/٣).

(٢٥) الأحياء (٣٠٢/٢).

(٢٦) (٢٦٦/٥).

(٢٧) انظر: المغني للعراقي (٣٠٢/٢) مع الإحياء.

(٢٨) كشف القناع (ص:١٠١).

(٢٩) تلبيس إبليس (ص:٢٣٧).

(٣٠) الإحياء (٣٣١/٢).

(٣١) صفة أهل التصوف، بواسطة كشف القناع (ص:١٥٧).

(٣٢) تلبيس إبليس (ص:٢٣٢).

(٣٣) الرماح (١٦٨/١) وعزاه إلى السيوطي.

(٣٤) (٢٦٧/٢) (ح:٢٦٩٩).

(٣٥) (٦٥٤/٥) (ح:٣٧٦٥) من طريق البخاري.

(٣٦) (٥/٨).

(٣٧) (١٠٨/١، ٩٨، ١١٥).

(٣٨) (١٧٣/٤).

(٣٩) (١٢٠/٣).

(٤٠) (٦/٨)، (٢٢٦/١٠).

(٤١) المسند (٢٣٠/١).

(٤٢) المسند (٣٤٢/٤).

(٤٣) الطبقات (٣٥/٤).

(٤٤) المصنف (٢٢٧/١١) (ح:٢٠٣٩٤).

(٤٥) المسند (١٠٨/١).

(٤٦) انظر: التهذيب (٣٥٠/٩- ٣٥٢).

(٤٧) انظر: الميزان (٢٩١/٤)، والتقريب (٧٢٦٤).

(٤٨) (ص:١٥٧) (حاشية:٧).

(٤٩) قاعدة عظيمة في الفرق بين عبادات أهل الإسلام والإيمان وعبادات أهل الشرك (ص:١٦٠).

(٥٠) مادة (حجل).

(٥١) مادة (حجل).

(٥٢) مادة (حجل).

(٥٣) الطبقات (٣٥/٤).

(٥٤) تلبيس إبليس (ص:٢٥٠).

(٥٥) القشيرية (ص:٦٥٢- ٦٥٣).

(٥٦) ولاية الله (ص:١٥٤).

(٥٧) الطبقات الكبرى (٧٨/١).

(٥٨) تلبيس إبليس (ص:٢٤٠).

(٥٩) مدارج السالكين (٤٨٧/١- ٤٨٨).

(٦٠) القشيرية (٧٠٤/٢).

(٦١) القصب: المزمار. والقصاب النافخ فيه (الوسيط: مادة قصب).

(٦٢) الغنية (١٦٧/٢).

(٦٣) مجموع الفتاوى (٥٥٧/١١- ٥٥٩).

(٦٤) تلبيس إبليس (ص:٢٤٥).

(٦٥) تلبيس إبليس (ص:٢٤٣).

(٦٦) مجموع الفتاوى (٥٦٢/١١).

(٦٧) مجموع الفتاوى (٥٩٩/١١).

(٦٨) المصدر السابق (٧٧/١٠).

(٦٩) الرباب: آلة وترية شعبية ذات وتر واحد. المعجم الوسيط.

(٧٠) العهد القديم- المزامير- المزمور (١٤٩- ١٥٠).

(٧١) تفسير القرطبي (٢٣٧/١١- ٢٣٨).

(٧٢) بل هو اعتقاد أيضاً.

(٧٣) مجموع الفتاوى (٣٥٩/٣).

(٧٤) مجموع الفتاوى (٣٥٩/٣).

(٧٥) المدخل لابن الحاج (١٠٠/٣).

(٧٦) حامد محمود الميرغني لمحات عن التصوف (ص:٦٥).

(٧٧) الصوفية في الإسلام (ص:٦٦).

(٧٨) مزمار من القصب، مولدة. الوافي مادة (شبب).

(٧٩) ابن قدامة: ذم ما عليه مدعو التصوف (ص:٦).

(٨٠) ذم ما عليه مدعو التصوف (ص:٩- ١٠).

# شمس الدين سومطراني

فرحان ضيفور جهري

هذا هو العلم الثاني من أعلام الصوفية في إندونيسيا، إنه من تلاميذ حمزة فنصوري - هذا الأخير سبق الحديث عنه في العدد الأول- ، بل أكبرهم، الذي واصل نشر ما بدأ نشره شيخه حمزة فنصوري.

واسمه: شمس الدين بن عبد الله سومطراني، ولد في عائلة علم، في العقد الأخير من القرن السادس عشر الميلادي، وهو وشيخه حمزة فنصوري رائدا التصوف اللذان اتبعا مذهب وحدة الوجود[١].

ونسبته سومطراني تدل على أنه من سومطرا، جزيرة من الجزر الكبيرة في إندونيسيا.

أما رحلاته العلمية فلم تعرف، اللهم إلا أنه أخذ عن شيخه حمزة فنصوري، فإنه سافر إلى جزيرة جاوا، وأخذ عن سونان بونانج[٢].

لكن الروايات الموجودة تؤكد أنه عالم من العلماء الكبار؛ "ولذلك فقد عين مفتياً للسلطنة في عهد علاء الدين رعاية شاه الرابع الذي تولى السلطة في آتشيه عام (٩٩٧هـ) إلى عام (١٠١١هـ) رغم أن عقيدته الوجودية غير متبعة لدى السلطنة"[٣].

واستمر على منصبه كمفتي السلطنة إلى أن توفي في عهد السلطان إسكندر مودا الذي حكم عام (١٠١٦) إلى عام (١٠٤٥هـ)[٤]، فإنه توفي عام (١٠٣٩هـ)[٥].

أما عقيدته في التصوف، يعتبر من المتصوفة الذين نحوا نحو عقيدة وحدة الوجود، إلا أنه يختلف عن شيخه في كونه ليس شاعراً، رغم أنه كاتب منتج، كما أنه فاق شيخه في مجال السياسة؛ فإنه سياسي بارع في زمانه[٦].

كما يختلف أيضاً عن شيخه الذي عرف نفسه في بعض أبياته - كما سبق- أنه قادري الطريقة، "فإن شمس الدين سومطراني لم يعرف أنه انتسب إلى طريقة معينة من الطرق الصوفية"[٧].

ولعلي أذكر بعضاً من تعاليمه فيما يلي، ليرى مدى تأثره بابن عربي، قال في كتابه (تنبيه الطلاب)[٨]: "... وذلك الذكر ينقسم إلى قسمين: حقيقي وغير حقيقي، أما الذكر الحقيقي: فهو شهود الحق سبحانه وتعالى بعين القلب في هذه الدار، وأما غير الحقيقي فينقسم إلى قسمين: ذكر جلي وذكر خفي، أما الذكر الجلي: فهو الذي يتلفظ بـ"لا إله إلا الله" في اللسان، وأما الذكر الخفي: فهو الذي يحفظ معناه في القلب الذي هو محل مشاهدته تعالى؛ لأن القلب يطلق على معنيين أحدهما اللحم الصنوبري الشكل المودع في الجنب الأيسر من الصدر، وثانيهما أنه لطيف رباني روحاني متعلق بذلك القلب، فهو المسمى بحقيقة الإنسان، وهو الروح الإنساني، وهو محل لمشاهدته تعالى، فالقلب لما كمل استعداده وقوي نوره بدوام الذكر المستعلي للمراقبة المستعدة للمشاهدة؛ صار مرآة للتجلي الإلهي، وهو الجمع بين البحرين، وملتقى للعالمين، وإذا عرفت هذا ظهر لك سر قول الشيخ محي الدين بن عربي"[٩].

وما هي أقوال ابن عربي؟ إنها عن التجلي ووحدة الوجود، وهي محفوظة في مؤلفاته، ومثال ذلك قوله:

تبارك الله الذي لم يزل

يظهر فيما قد بدا من صور

فإنه منشئها دائماً

في كل ما يظهر أو قد ظهر[١٠]

وقوله: "إن لله تجليين: تجلي غيبي، وتجلي شهادة، فمن تجلي الغيب: أن يعطي الاستعداد الذي يكون عليه القلب، وهو التجلي الذاتي الذي الغيب حقيقته، وهو الهوية التي يستحقها بقوله عن نفسه هو، فلا يزال "هو" له دائماً أبدا"[١١]، إلى أن قال: "ثم رفع الحجاب بينه وبين عبده، فرآه في صورة معتقده فهو عن اعتقاده، فلا يشهد القلب ولا العين أبداً إلا صورة معتقده في الحق، فالحق الذي في المعتقد هو الذي وسع القلب صورته، وهو الذي يتجلى له فيعرفه.."[١٢].

والشاهد: أن شمس الدين سومطراني قد تأثر بابن عربي تأثراً كبيراً في عقيدته الصوفية، وهي كما رأينا العقيدة الفلسفية الموغلة في الانحراف.

وقبل أن أنتقل إلى علم آخر أورد فيما يلي مثالاً آخر من أقواله التي تؤكد انغماسه في تلك العقيدة المنحرفة:

قال: "... لأن الحق سبحانه وتعالى يقوم الأشياء، وكل شيء؛ فإنه في ذاته موجود بالحق، والحق تعالى موجود بذاته، وبه قوامها، فهو مقوّمها، بل هو عينها لظهره[١٣] في ملابس أسمائه وصفاته في العلم والعين؛ لأنه باعتبار إطلاقه سار في ذوات الموجودات، كذلك الصفات الكاملة له عين صفات جميع الموجودات؛ لأنها باعتبار إطلاقها أيضاً سارية في جميع صفات الموجودات"[١٤].

هذا ما تيسر لي عرضه عن هذين العلمين اللذين اشتهر ذكرهما عند الشعب الإندونيسي، وعند المهتمين بالتصوف على وجه الخصوص، واللذين رآهما معظم العلماء - إن لم أقل كلهم- أنهما من الأوائل الذين جاءوا بعقيدة وحدة الوجود إلى إندونيسيا.

لكن المؤسف أن ترجمة حياتهما لم يعثر عليها بقدر كاف، وبالتالي لم يعرف ممن أخذا - وخصوصاً حمزة فنصوري- تلك العقيدة، لكن من المحتمل أنه أخذها أثناء رحلاته إلى خارج البلد كما سبق.

على أي حال: لقد انتشرت عقيدة وحدة الوجود حينذاك بين الناس نتيجة جهود هذين العلمين، واستمر ذلك إلى أن جاء العالم الهندي إلى إندونيسيا، وهو الشيخ نور الدين الرنيري، الذي سيأتي الحديث عنه بعد هذا مباشرة إن شاء الله، فقد استطاع هذا الشيخ - بعد أن عين مفتياً في عهد السلطان إسكندر الثاني في مملكة آتشيه- بالتعاون مع الحاكم القضاء على تلك العقيدة بعض الشيء، وذلك بإصدار الأمر بإحراق المؤلفات التي ألفها حمزة فنصوري، وشمس الدين سومطراني[١٥].

ومن هذا العرض تبين لنا أن عقيدة ابن عربي وأمثاله - وهي العقيدة الوجودية- قد وصلت إلى إندونيسيا في وقت مبكر، وهي نفس العقيدة المنتشرة في بقية دول العالم الإسلامي.

## الهـــوامش

(١) ينظر: الموسوعة الإسلامية الإندونيسية (ص:٨٩٠).

(٢) ينظر: تطور علم التصوف وأعلامه في نوسانتارا (ص:٤٠).

(٣) ينظر: الشيعة وأهل السنة تخاطفوا النفوذ والسلطة (ص:٥٣).

(٤) نفس المرجع (ص:٥٣).

(٥) ينظر: الموسوعة الإسلامية الإندونيسية (ص:٨٩٠).

(٦) ينظر: الشيعة وأهل السنة تخاطفوا النفوذ والسلطة، (ص:٨٦).

(٧) الكتاب الأصفر، مارتين فان برونسن (ص:١٩١).

(٨) لقد حاولت الإطلاع على هذا الكتاب مباشرة، فبحثت عنه في قاعة المخطوطات بالمكتبة الوطنية جاكرتا، فلم أجده.

(٩) نقلاً عن تطور علم التصوف وأعلامه في نوسانتارا (ص:٤٨).

(١٠) الفتوحات المكية، لابن عربي (٣٧٥/٣).

(١١) فصوص الحكم لابن عربي والتعليقات عليه، لأبي العلاء عفيفي (ص:١٢٠).

(١٢) نفس المرجع (ص:١٢١).

(١٣) لعل هذا خطأ من الناسخ، والصحيح طبعاً: (لظهوره).

(١٤) جوهر الحقائق، لشمس الدين سومطراني، مخطوط باللغة العربية مع ترجمتها إلى اللغة الجاوية، موجود في المكتبة الوطنية جاكرتا، تحت الرمز: (٣١ a).

(١٥) ينظر: الموسوعة الإسلامية الإندونيسية (ص:٨٩١).

# احتجاج الصوفية بأثر فتح الكوة على جواز التوسل والرد عليه

جيلان بن خضر العروسي

الحمد لله رب العالمين، وصلى الله وسلم على سيدنا محمد وعلى آله وصحابته أجمعين.. أما بعد:

فإنه مما روي: [[أن أهل المدينة قحطوا قحطاً شديداً، فشكوا إلى عائشة، فقالت: انظروا قبر النبي صلى الله عليه وسلم، فاجعلوا منه كواً إلى السماء؛ حتى لا يكون بينه وبين السماء سقف، قال: ففعلوا، فمطروا مطراً حتى نبت العشب، وسمنت الإبل حتى تفتقت من الشحم؛ فسمي عام الفتق]].

قد احتج[1] بهذا الأثر الصوفية على جواز التوسل بالذوات.

والجواب عن هذا الأثر من وجهين:

**الوجه الأول: ما يتعلق بنقد الإسناد:**

فقد أخرج هذا الأثر الدارمي في سننه[2]: حدثنا أبو النعمان ثنا سعيد بن زيد ثنا عمرو بن مالك النكري حدثنا أبو الجوزاء أوس بن عبد الله قال: قحط أهل المدينة.. إلخ.

فهذا الإسناد فيه عدة علل:

١- سعيد بن زيد فيه ضعف[3].

٢- أن أبا النعمان محمد بن الفضل وهو الملقب بعارم قد اختلط، ولم يذكر الدارمي فيمن سمع منه قبل الاختلاط[4].

٣- أن الأثر لو صح فهو موقوف، فلا حجة فيه؛ لأنه يمكن أن يكون من قبيل الاجتهادات التي تقع من آحاد الصحابة، وقد تقدم أن فعل الصحابي إذا خالف السنة لا يحتج به.

وقد ذكر هذه العلل الثلاث[5] الشيخ الألباني - رحمه الله- وبقي في الأثر علتان أخريان رابعة وخامسة[6]، وهما:

٤- أن عمرو بن مالك النكري قال فيه ابن عدي في ترجمة أبي الجوزاء: حدث عنه عمرو بن مالك قدر عشرة أحاديث غير محفوظة[7].

وهذا الأثر من روايته عنه فيكون غير محفوظ.

وقال البخاري أيضاً في أثر أبي الجوزاء: في إسناده نظر[8].

وقد ذكر الحافظ ابن حجر أن كلام البخاري هذا يحمل على رواية خاصة، وهي: رواية عمرو بن مالك النكري عن أبي الجوزاء، والنكري ضعيف عنده[9] أي: البخاري، وقال ابن حبان في ترجمة ابنه يحيى بن عمرو بن مالك النكري: كان منكر الرواية عن أبيه- يريد يحيى- ثم قال: ويحتمل أن يكون السبب في ذلك منه أو من أبيه أو منهما معاً، ولا نستحل أن يطلق الجرح على مسلم قبل الاتضاح، بل الواجب تنكب كل رواية يرويها عن أبيه؛ لما فيها من مخالفة الثقات، ولوجود الأشياء المعضلات، فيكون هو وأبوه جميعاً متروكين من غير أن يطلق وضعها على أحدهما...[10].

فيفهم من هذا: أن ابن حبان متوقف فيه، لا يوثقه ولا يجزم بجرحه، ومع هذا فقد ذكره في الثقات وقال: (ويعتبر حديثه من غير رواية ابنه عنه (ت:١٢٩هـ)، يخطئ ويغرب[11].

ولكن هذا ليس توثيقاً مطلقاً، فإنه إنما يفيد أنه يعتبر به في المتابعات والشواهد، ولا يفيد أنه يقبل تفرده.

وقد ذكره ابن أبي حاتم ولم يذكر فيه جرحاً ولا تعديلاً[12] مما يوحي إلى جهالة حاله عنده.

لكن ابن معين قال فيه: ثقة[13].

ووثقه الذهبي أيضاً[14].

وقال الحافظ ابن حجر: صدوق له أوهام[15].

فتبين مما سبق أن النكري روايته عن أبي الجوزاء غير محفوظة، كما قاله ابن عدي، وأنه ضعيف عند البخاري، كما قاله الحافظ، ويعتبر به فقط عند ابن حبان على ما قاله في الثقات، ويتوقف في أحاديثه على ما مال إليه في المجروحين إذا كان من رواية ابنه عنه، ولم نجد له توثيقاً من المتقدمين إلا ابن معين، فيعارض هذا التوثيق بجرح البخاري وابن حبان وابن عدي، وهم أكثر عدداً منه، وجرح بعضهم مفسر لاسيما إذا روى عن أبي الجوزاء كما هو هنا، فيقدم على توثيق ابن معين والذهبي وابن حجر.

فتحصل من هذا: أنه لا يقبل فيما تفرد به، لاسيما عن أبي الجوزاء، كما هو هنا، وإنما يعتبر به في المتابعات والشواهد.

٥- الانقطاع بين عائشة رضي الله عنها وبين أبي الجوزاء أوس بن عبد الله الربعي، فقد قال البخاري: (في إسناده نظر)[١٦].

وقد حمل ابن عدي كلام البخاري هذا على أنه يريد أنه لم يسمع من مثل ابن مسعود وعائشة وغيرهما، لا أنه ضعيف عنده[١٧].

وقال ابن عدي أيضاً: وأبو الجوزاء روى عن الصحابة: ابن عباس وعائشة وابن مسعود وغيرهم، وأرجو أنه لا بأس به، ولا يصحح روايته عنهم أنه سمع منهم[١٨].

وممن ذكر عدم سماعه عن عائشة الحافظ ابن عبد البر، قال أبو زرعة ابن الحافظ العراقي: وذكر ابن عبد البر في التمهيد: أنه لم يسمع من عائشة، وحديثه عنها مرسل[١٩]، ونقله عن ابن عبد البر أيضاً الحافظ في التهذيب فأقره[٢٠].

فهؤلاء الحفاظ البخاري وابن عدي وابن عبد البر والعراقي وابن حجر يقررون عدم سماعه من عائشة، فاتضح بهذا أن فيه انقطاعاً.

وبهذه العلل الخمس يتبين ضعف إسناد الأثر ضعفاً شديداً؛ لأن الواحدة منها تكفي لرده فكيف وهي مجتمعة؟؟

**الوجه الثاني: ما يتعلق بنقد المتن:**

وأما ما يتعلق بنقد متن هذا الأثر فعلى وجوه:

١- أن هذا[٢١] الأثر يخالف ما ثبت عن الصحابة باتفاق أهل العلم، من استسقائهم بالدعاء المشروع، إما في المسجد في خطبة الجمعة ونحوها، وإما بالخروج إلى الصحراء، وهذا ثابت عنهم قطعاً.

ومن المعلوم: أن من علامة وضع الحديث مخالفته للقطعي.

٢- ومما يبين[٢٢] كذب هذه الرواية: أنه لم يكن في حياة عائشة للبيت كوة، بل كان بعضه باقياً على ما كان على عهد النبي صلى الله عليه وسلم، فبعضه مسقوف وبعضه مكشوف، وكانت الشمس تنزل فيه كما ثبت في الصحيحين عن عائشة: {أن النبي صلى الله عليه وسلم كان يصلي العصر والشمس في حجرتها لم يظهر الفيء بعد}[٢٣] ولم تزل الحجرة كذلك حتى زاد الوليد بن عبد الملك في المسجد، وأدخلت الحجر في المسجد، ثم بنى حول حجرة عائشة التي فيها القبر جداراً عالياً، وبعد ذلك جعلت الكوة لينزل منها إذا احتيج إلى ذلك؛ لأجل كنس أو تنظيف، وأما وجود الكوة في حياة عائشة فكذب بيّن.

٣- ولو صح[٢٤] هذا الأثر لكان حجة ودليلاً على أن القوم لم يكونوا يقسمون على الله بمخلوق، ولا يتوسلون في دعائهم بميت، ولا يسألون الله به، وإنما فتحوا على القبر لتنزل الرحمة عليه، ولم يكن هناك دعاء يقسمون به عليه، فأين هذا من هذا؟؟

## الهـــوامش

(١) احتج به جماعة منهم البكري كما في الرد على البكري (ص:٢٧)، والسبكي في شفائه (ص:١٨٣)، والسمنهودي في وفاء الوفاء: (١٣٧٤/٤)، ودحلان في الدرر: (ص: ٢٢)، وخلاصة الكلام: (ص: ٢٤٦)، والعزامي في الفرقان: (ص: ١٢٥)، والبراهين: (ص: ٤١٢)، والغماري في الإتحاف (ص: ١٠)، والرد المحكم (ص: ٧٦ و١٩١)، والعلوي في المفاهيم (ص: ٦٦- ٦٧).

(٢) (٤٣/١) رقم:(٩٣).

(٣) فقد ضعفه يحيى القطان والسعدي والدارقطني، وقال النسائي وغيره: ليس بالقوي، وقال أحمد: ليس به بأس، كان يحيى بن سعيد لا يستمرئه. (انظر أحوال الرجال رقم:(١٨٣)، والكامل: (١٢١٢/٣)، والميزان: (١٣٨/٢)، والتهذيب: (٣٣/٤).

(٤) انظر عن اختلاطه ومن روى عنه قبل الاختلاط في: الكواكب النيرات:رقم: (٥٢) (ص:٣٨٢- ٣٩٣).

(٥) التوسل وأنواعه (ص: ١٣٩).

(٦) وقد ذكر العلة الخامسة شيخنا الشيخ حماد الأنصاري في تحفة القاري (ص: ٥٢).

(٧) الكامل: (٤٠٢/١)، والتهذيب: (٣٨٤/١)، وفي الكامل المطبوع تصحيف والتصويب من التهذيب.

(٨) التاريخ الكبير: (١/ ١٧٢)، والعقيلي: (١/ ١٢٤)، والكامل: (١/ ٤٠٢)، والتهذيب: (١/ ٣٨٤).

(٩) التهذيب: (٣٨٤/١).

(١٠) المجروحين: (١١٤/٣)، وعنه في الأنساب للسمعاني: (١٧٥/١٣).

(١١) الثقات لابن حبان: (٢٢٨/٧)، والأنساب: (١٧٥/١٣)، والتهذيب: (٩٦/٨)، وزاد في النقل عن ابن حبان قوله: (يخطىء ويغرب) وهذا غير موجود في النسخة المطبوعة من الثقات.

(١٢) الجرح والتعديل: (٢٥٩/٦) (رقم:١٤٢٧).

(١٣) سؤالات ابن الجنيد ليحيى بن معين: رقم: (٧١٠) (ص:٤٤٥).

(١٤) الميزان: (٢٨٦/٣) رقم: (٦٤٣٦)، والمغني: (٧٢/٢) رقم: (٤٧٠١).

(١٥) التقريب: رقم:(٥١٠٤).

(١٦) التاريخ الكبير: (١٧٢/١)، والعقيلي: (١٢٤/١)، والكامل: (٤٠٢/١). وقد قال الذهبي: إن البخاري لا يقول فيه نظر إلا فيمن يتهمه (الميزان: (٤١٦/١)، ولكن هذا ليس مطرداً كما هو هنا؛ فلهذا أول كلامه ابن عدي انظر في هذا المبحث: دراسات في الجرح والتعديل للأعظمي (ص:٢٦٠).

(١٧) الكامل: (٤٠٢/١)، ومقدمة الفتح: (٣٩١- ٣٩٢)، والتهذيب: (٣٨٤/١).

(١٨) الكامل: (٤٠٢/١).

(١٩) تحفة المراسيل: (ل ٣/أ).

(٢٠) التهذيب: (٣٨٤/١).

(٢١) انظر هذا الوجه الأول في الرد على البكري (ص:٢٧).

(٢٢) انظر هذا الوجه الثاني في الرد على البكري: (ص: ٦٧- ٦٨) و(ص: ٢٨- ٢٩).

(٢٣) أخرجه مالك في الموطأ: (٤/١) رقم:(٢)، ومن طريقه البخاري: (٦/٢) رقم:(٥٢٢)، ومسلم: (٤٢٦/١) رقم:(٦١١).

(٢٤) انظر هذا الوجه الثالث في الرد على البكري (ص:٦٨ و٢٩).

# براءة أبي بكر العنبري من دعاوى الصوفية

أكرم مبارك عصبان

إن الواجب على من يتأمل فكر الصوفية وغيرهم، ويتفكر في أحوالهم مشى وفرادى، ثم يعيد النظر في ما هم عليه أن يعرض كل ذلك على الكتاب والسنة، فإنهما الحكم الذي ترضى حكومته، فينفي كل تحريف، ويذب عن حياض الحق لا يخاف لومة لائم؛ إذ لا يسع المسلم إلا تحقيق الاتباع، قال تعالى ((وَمَنْ أَحْسَنُ دِينًا مِمَّنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُ لِلَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ وَاتَّبَعَ مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا))[النساء:١٢٥].

وقد يستهوي التصوف بعض من أرهقته الذنوب، وضاقت بها نفسه فتاقت إلى التزكية، وتتطلع إلى تطهير القلب من أدرانه، فسعى نحو التصوف حين التبس بالزهد، وزاد من سعيه أن سمع عن المشايخ الذين نسبوا إليه ممن لم يعارضوا الشرع بالكشف والوجد، وآراء الشيوخ، وتوقفوا في كل دعوى؛ حتى تشهد لها بينة الكتاب والسنة، وإلا فإنهم يتهمونها، كما قال أحدهم: (إنه لتقع في قلبي النكتة من نكت القوم فلا أقبلها إلا بشاهدين عدلين الكتاب والسنة)(١).

وهكذا مضى المتطلع إلى طريق التصوف يتوق إلى منازل الصالحين، حتى إذا وصل لم يجد إلا المصطلحات التي وراءها منابذة الشريعة ـ فإن كان متجرداً ـ عاد حين عاد بغير الوجه الذي ذهب به، وجعل يحذر مما رآه بعينه، ويلوم نفسه على تركه الكتاب والسنة.

وممن تأمل أحوال الصوفية قديماً أبو بكر العنبري، وكان قد سار إلى سوقهم يرجو السلوك، ويشري من بضاعتهم، فلما تبين له زيفها، وتحقق له الغرر تبرأ منها، وأقال واستقال عليه رحمة الله، ولم يكتف بالرجوع إلى الجادة فحسب، بل كشف انحرافهم، وأبان ضلالهم؛ كي لا يغتر غيره بما وقع فيه، ولسان حاله يقول:

يا بن الكرام ألا تدنو فتبصر ما
قد حدثوك فما راءٍ كمن سمعا

قال ابن الجوزي في المنتظم:

(وكان العنبري يتصوف، ثم بان له عيوب الصوفية؛ فذمهم بقصائد قد كتبتها في تلبيس إبليس، توفي العنبري يوم الخميس، ثاني عشر جمادى الأولى من هذه السنة ـ يعني ـ سنة ٤١٢ هـ) (٢).

والقصيدة التي أشار إليها ابن الجوزي جاءت كاملة في الكتاب المذكور، ويمكن استعراض معناها في ثلاث مراتب تقرب المقصود إن شاء الله(٣).

والقول في الصوفية وغيرهم إنما يكون بعلم يرفع الجهل، وعدل يعصم من الظلم، قال تعالى ((وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ إِنَّ السَّمْعَ وَالْبَصَرَ وَالْفُؤَادَ كُلُّ أُولَئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْئُولًا))[الإسراء:٣٦] وقد ذمهم العنبري بعدما خاض فيما خاضوا فيه، ووقف على حقيقة فكرهم.

وهو وإن ذكر ما استعظمه من أمرهم فالعهد بعيد يرجع إلى بداية القرن الخامس الهجري، ولم يقف الصوفية عند عتبة هذه الانحرافات، فالذي أضيف عبر الأزمنة المتأخرة عقائد باطلة كظلمات بعضها فوق بعض، فلا بد من بناء سدٍ منيع بين الأمة وبين هذه العقائد؛ حتى لا يغتر بها الضعفاء، وبالله التوفيق.

الوقفة الأولى:

تأملت أختبر المدعين بين الموالي وبين العبيد
فألفيت أكثرهم كالسراب يروقك منظره من بعيد
فناديت يا قوم من تعبدون فكل أشار بقدر الوجود
فبعض أشار إلى نفسه وأقسم ما فوقها من مزيد

وبعض إلى خرقة رفعت وبعض إلى ركوة من جلود
وآخر يعبد أهـــــواءه وما عابد للهوى بالرشـــيد
وذو كلف باستماع السماع بين البسيط وبين النشـــيد

في هذه الأبيات يشير رحمه الله إلى بعض ما وقف عليه من بدع التصوف العلمية والعملية، مما يضادّ النصوص الشرعية، وذلك بعد امتحان طريق هؤلاء المدعين، فألفاهم يعكفون على بدع وخرافات ومنكرات، فأوجس من بدعهم، ونادى حين نكرهم على أي طريق هم؟!

أما دين الإسلام فقد أكمله الله، وبلغه رسوله عليه الصلاة والسلام، قال تعالى ((الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الإِسْلامَ دِينًا))[المائدة:٣] فمن أين دخلت هذه الانحرافات إذا؟!

أشار العنبري إلى ثلاثة أمور هنا نذكرها على النحو التالي:

أولاً: وحدة الوجود:

أول ما رابه من طريقهم أكلهم من شجرة وحدة الوجود الخبيثة، وهي فتنة عظيمة دسها أعداء الدين، وألبسوها لباس الزهد؛ ليلبسوا على الجهلة دينهم، وهي ثمرة انحراف التصوف عن الكتاب والسنة حين التمسوا الهدى في غيره؛ فطمع فيهم جنود إبليس، فظهرت هذه العقائد المنكرة من القول بالاتحاد والوحدة والفناء، وخلعوا على أقطابهم من جانب الربوبية الصفات، وصولاً إلى تسور حمى الذات، ولم يواربوا من ذلك، بل صرحوا به كما أشاروا إلى العنبري بذلك، وتجرأوا فقال قائلهم: ما في الجبة إلا الله ! أو سبحاني ما أعظم شأني ! وأنا من أهوى ومن أهوى أنا ! والكثرة وهم ! إلى آخر هذيان طائفة الاتحادية التي تبلورت بعد ذلك بالنظريات الخطيرة التي أزجاها ابن عربي وحلفاؤه المشؤومون، وحين قام عليهم حماة الشرع، وجردوا السيف جعلوا يراوغون بالتأويل، وأوهموا الأتباع أنها أسرارا لا تذاع، وشطحات قيلت عن غلبة، عافانا الله من انحرافهم وإلى الله المشتكى.

فكيف يستطيع أن يجالس المسلم الصادق قوماً بلغ الغرور بهم هذا المبلغ، وتلاعب الشيطان بهم إلى هذا الحد ؟ فلا عجب أن يذمهم أبو بكر العنبري.

ثانياً: لبس الخرقة:

ومما نادى به الصوفية من طريقتهم وأنكره العنبري بدعة الخرقة الصوفية، التي اتخذوها ليتميزوا بها عن غيرهم، وجعلوها شعاراً لهم، ولم يكن من هديه عليه الصلاة والسلام اتخاذ ذلك، فمن جعل له شعاراً يميزه عن طريقه فقد حاد، بل لباس المسلم التقوى، وشعاره الاتباع قولاً وعملاً واعتقاداً، لا يتخذ دون طريقه عليه السلام وليجة.

وقد أضافوا إلى لبس الخرقة من الطوام شيئاً كثيراً، كالجلوس في الزوايا تواكلاً، أو ملازمة ركوة لا تغني عنهم شيئاً، وجعلوا للبس الخرقة مراسيم في الدلالة على تحكم المريد لشيخه، لا يعترض عليه ألبتة، وجعلها بعضهم شبكة لصيد الحطام، فمنهم من يلبس الصوف تحت الثياب، ويلوح بكمه حتى يرى لباسه، وهذا لص ليلي، ومنهم من يلبس الصوف فوقها، وهذا لص نهاري مكشوف على حد تعبير السيوطي الذي كره لبس الخرق والمرقعات من خمسة أوجه:

أحدها: أنه ليس من لباس السلف، وإنما كانوا يرقعون ضرورة.

الثاني: أنه يتضمن ادعاء الفقر، وقد أمر الإنسان أن يظهر نعمة الله عليه.

الثالث: أنه إظهار التزهد، وقد أمرنا بالستر.

الرابع: أنه تشبه بهؤلاء المتزحزحين عن الشريعة (ومن تشبه بقوم فهو منهم).

الخامس: أنه ثوب شهرة، وفيه تفويت لفضيلة البيض التي أمر بها الشرع، ونهى عن لباس الشهرة(٤).

ثالثاً: السماع:

ومما ألفاهم العنبري عليه من انحراف بدعة السماع، ولم يكن من هديه عليه الصلاة والسلام ما ابتدعه الصوفية من السماع، فيكون بدعة ضلالة كما في حديث عائشة الصحيح مرفوعاً: (من أحدث في أمرنا هذا ما ليس منه فهو رد) وقال ابن مسعود رضي الله عنه في قوله تعالى " ومن الناس من يشتري لهو الحديث ليضل عن سبيل الله) واللهو هنا: الغناء.

وقد زادوا على السماع والغناء زيادات قبيحة عند من لا

يرى بأساً بحضور النساء للسماع، وعند آخرين الوجد والتواجد حتى يخر مغشياً عليه، وأضيف إليه الرقص، وآلات الموسيقى حديثاً، وجعله صنف منهم في المساجد التي أقيمت لذكر الله.

قال الشافعي: (خلفت ببغداد شيئاً أحدثته الزنادقة، يسمونه التغبير يشغلون به عن القرآن)(٥).

وقد اشتد نكير الطرطوشي على من اتخذ الرقص عبادة، والوجد طريقاً، فأجاب: مذهب الصوفية بطالة وجهالة وضلالة، وما الإسلام إلا كتاب الله وسنة رسوله، وأما الرقص والتواجد فأول من أحدثه أصحاب السامري، لما اتخذ لهم عجلاً جسداً له خوار قاموا يرقصون حواليه ويتواجدون، فهو دين الكفار وعباد العجل، وأما القضيب فأول من اتخذه الزنادقة ليشغلوا به المسلمين عن كتاب الله تعالى، وإنما كان يجلس النبي صلى الله عليه وسلم مع أصحابه كأنما على رؤوسهم الطير من الوقار، فينبغي للسلطان ونوابه أن يمنعهم من الحضور في المساجد وغيرها، ولا يحل لأحد يؤمن بالله واليوم الآخر أن يحضر معهم، ولا يعينهم على باطلهم، هذا مذهب مالك وأبي حنيفة والشافعي وأحمد بن حنبل وغيرهم من أئمة المسلمين وبالله التوفيق(٦).

الوقفة الثانية:

فيا للرجال ألا تعجبون لشيطان إخواننا ذا المزيد
يخبطهم بفنون الجنون وما للمجانين غير القيود
وأقسم ما عرفوا ذا الجلال وما عرفوه بغير الجحود
ولولا الوفاء لأهل الوفاء سلقتهم بلسان حديد

لقد رأى العنبري من عقائد هؤلاء الباطلة وأفعالهم الفاسدة، فأدرك كيد إبليس حين زين لهم الباطل في غير صورته، فصدهم عن الحق، وأتوا بأقوال وأفعال تشبه الجنون، ولكنهم سموها بالشطحات، فإن كانوا قد فقدوا عقولهم فسبيلهم سبيل المجانين، ولا يتركوا مخليين عن السلاسل والقيود ! وتنزه الشريعة عن طريقهم، وإن كانوا يعدون ذلك الغاية التي يسعون إليها، فبئس تلك من طريق وعرة قد تجمعت من نحل وملل شتى، نسأل الله أن يوفقنا للاعتصام بالكتاب والسنة، لا نلتفت إلى غيرهما، ونشد المئزر على التقيد بهما، ومجانبة أسباب الردى، وحفظ الأمانة وأدائها، كما قال تعالى: ((إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تُؤَدُّوا الأَمَانَاتِ إِلَى أَهْلِهَا))[النساء:٥٨].

الوقفة الثالثة:

فما بال قومي على جهلهم بعز الفريد وأنس الوحيد
إذا أبصروني بكوا رحمة ونيران أحقادهم في وقود
لأني بعدت عن المدعين ولو صدقوا كنت غير بعيد

لم يسلم العنبري إذن من عاقبة مخالفتهم، وهذا طريق ليس فيه بأوحد، بل هو سنة ماضية وباقية لكل من ذم الباطل، وصرخ في وجهه بالرحيل أن يقابل بالبعد، وما يضره ذلك، فقد قام بما أخذه الله على أهل العلم من ميثاق، ولم يكتم شيئاً من ذلك، فعليه رحمة الله.

وهذا مثال واضح ممن ورد التصوف ليستقي منه، فانتهى إلى ملح أجاج، وترك زلال الكتاب والسنة، وما زال بعض الصوفية يضفون على أقطابهم هالة من التقديس، ويفيضون في الخوارق المنسوبة لهم، فظهر القول بتصرفهم وعلمهم الغيب وغير ذلك، وكان ثمرة ذلك صرف العبادة لهم من دعاء واستغاثة، ويلمزون من غضب لله ودافع عن التوحيد ببغض الأولياء، قال تعالى: ((وَيُخَوِّفُونَكَ بِالَّذِينَ مِنْ دُونِهِ وَمَنْ يُضْلِلِ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِنْ هَادٍ ❖ وَمَنْ يَهْدِ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِنْ مُضِلٍّ أَلَيْسَ اللَّهُ بِعَزِيزٍ ذِي انْتِقَامٍ ❖ وَلَئِنْ سَأَلْتَهُمْ مَنْ خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضَ لَيَقُولُنَّ اللَّهُ قُلْ أَفَرَأَيْتُمْ مَا تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ إِنْ أَرَادَنِيَ اللَّهُ بِضُرٍّ هَلْ هُنَّ كَاشِفَاتُ ضُرِّهِ أَوْ أَرَادَنِي بِرَحْمَةٍ هَلْ هُنَّ مُمْسِكَاتُ رَحْمَتِهِ قُلْ حَسْبِيَ اللَّهُ عَلَيْهِ يَتَوَكَّلُ الْمُتَوَكِّلُونَ))[الزمر:٣٦- ٣٨].

## الهـــوامش

(١) مجموع فتاوى شيخ الإسلام (١١ / ٢١٠).

(٢) المنتظم لابن الجوزي (٤ / ٣٣٣).

(٣) تلبيس إبليس لابن الجوزي (ص: ٣٣٧).

(٤) الأمر بالاتباع والنهي عن الابتداع للسيوطي (صلى الله عليه وسلم: ٩٨).

(٥) سير أعلام النبلاء للذهبي (١٠ / ٩١).

(٦) تفسير القرطبي (١١ / ٢٣٧).

# صوفيـــة العـــراق

رأفت صلاح الدين

يكتسب الحديث عن الصوفية في العراق أهمية خاصة، لاسيما وأنه قد اتفقت آراء الباحثين على أن التصوف صناعة هندية وصينية وفارسية (زرادشتية) قبل الإسلام بقرون، وأن عبوره إلى العرب كان عبر العراق، بالإضافة إلى تلك الآراء التي تبين أن التصوف بعد الإسلام كان منشؤه أساساً من العراق، خاصة في البصرة والكوفة، في الوقت الذي تقدر فيه بعض الأوساط عدد الصوفية بأكثر من ثلاثة ملايين.

لذا فالحديث عن التصوف العراقي ومنشئه وأهم طرقه وشخصياته يعطينا تصوراً واضحاً عن حقيقة الصوفية بصفة عامة، وبصورة تخترق حدود الزمان والمكان، وتجعلنا نقف على زيف ادعاءاتهم وشطحاتهم، وكذلك تعيننا على تكوين صورة متكاملة عن أوضاع الصوفية وماهيتها.

**النشأة:**

التصوف: تصورات دينية انتشرت في العالم الإسلامي في بداية الأمر كنزعات فردية تدعو إلى العبادة و الزهد في الحياة، وذلك كرد فعل لزيادة الفساد والترف الحضاري، ثم تطورت تلك النزعات بعد ذلك حتى صارت طرقاً وحركات منظمة ومعروفة، باسم الصوفية.

ولا شك أن ما يدعو إليه الصوفية من الزهد والورع والتوبة والرضا إنما هي أمور من الإسلام الذي يحث على التمسك بها والعمل من أجلها، فالمتصوفة يتوخون تربية النفس والسمو بها بغية الوصول إلى معرفة الله تعالى بالكشف والمشاهدة لا عن طريق اتباع الوسائل الشرعية، وقد تنوعت وتباينت آراء الناس وتوجهاتهم نحو تلك الحركة؛ لأن ظاهرها لا يدل على باطنها.

فجميع المؤرخين يتفقون على أن التصوف نشأ وترعرع في العراق، حيث برزت أسماء كبرى قد ساهمت بتأسيسه، منها: الحسن البصري، داود بن نصير الطائي، رابعة العدوية، معروف الكرخي، السري السقطي، الجنيد البغدادي، وغيرهم الكثيرون [1]. **ولكن اختلفت آراء الباحثين حول الكيفية التى بدأ بها التصوف في العراق وفي غيره من الدول، وكذلك عن التوقيت بالتحديد، على عدة آراء:**

١- رأي يقول: إن التصوف الإسلامي: هو امتداد طبيعي لعقيدة (وحدة الوجود العرفانية) التي بدأت تنتشر في الشرق الأوسط، بالذات في العراق والشام ومصر، منذ القرن الثالث قبل الميلاد، وهي عقيدة تحاول أن تمزج بين (روحانية الشرق الآسيوي ومنطق الإغريق)، فبعد سقوط آخر دولة عراقية في القرن السادس قبل الميلاد على يد الفرس، واحتلال الشام ومصر من قبل الإغريق ثم الرومان، بدأ يتغلغل في هذه البلدان تياران دينيان جديدان: التيار الديني الآسيوي(الهندي الصيني) المتضمن (عقيدة وحدة الوجود)عن طريق إيران، ثم التيار الفكري اليوناني (علم المنطق) عن طريق الإغريق أنفسهم، ثم الرومان.

لقد امتزج هذان التياران الجديدان مع ديانة عبادة الكواكب العراقية، وديانة البعل الشامية، وديانة خلود الآخرة المصرية، نتج من هذا مزيج يجمع بين (عقيدة وحدة الوجود الآسيوية) و(المنطق الإغريقي) و(عقيدة المهدي ـ المسيح ـ المخلص) العراقية، وعقيدة (الخلود الأخروي) المصرية.

وتجدر الإشارة إلى أن (مفهوم وحدة الوجود) في أصله هو مذهب آسيوي واضح الحضور في الأديان الصينية والهندية، مثل البوذية والتاوية والهندوسية، بينما أديان البحر المتوسط ( بضفتيه الأوربية والشرقية) هي بطبعها أديان ثنائية تميز بصورة واضحة بين(الخالق والمخلوق)، فالديانة العراقية

القديمة وكذلك المصرية والشامية، بالإضافة إلى الأديان السماوية، جميعها بدرجات مختلفة تعتبر القوى الإلهية مقيمة في السماء العليا، ومنفصلة جوهرياً عن مخلوقاتها على الأرض.

٢- ورأي يقول: إنه كدأب أي انحراف يبدأ صغيراً، ثم ما يلبث أن يتسع مع مرور الأيام، فقد تطور مفهوم الزهد في الكوفة والبصرة في القرن الثاني للهجرة على أيدي كبار الزهاد أمثال: إبراهيم بن أدهم، مالك بن دينار، وبشر الحافي، ورابعة العدوية، وعبد الواحد بن زيد، إلى مفهوم لم يكن موجوداً عند الزهاد السابقين، من تعذيب للنفس بترك الطعام، وتحريم تناول اللحوم، والسياحة في البراري والصحاري، وترك الزواج.

يقول مالك بن دينار: "لا يبلغ الرجل منزلة الصديقين حتى يترك زوجته كأنها أرملة، ويأوي إلى مزابل الكلاب"، وذلك دون سند من قدوة سابقة أو نص من كتاب أو سنة، ولكن مما يجدر التنبيه عليه أنه قد نُسب إلى هؤلاء الزهاد من الأقوال المرذولة، والشطحات المستنكرة، ما لم يثبت عنهم بشكل قاطع كما يذكر شيخ الإسلام ابن تيمية.

- وفي الكوفة أخذ معضد بن يزيد العجلي هو وقبيلُه يروِّضون أنفسهم على هجر النوم، وإدامة الصلاة، حتى سلك سبيلهم مجموعة من زهاد الكوفة، فأخذوا يخرجون إلى الجبال للانقطاع للعبادة، على الرغم من إنكار ابن مسعود عليهم في السابق.

- وظهرت من بعضهم مثل رابعة العدوية أقوال مستنكرة في الحب والعشق الإلهي للتعبير عن المحبة بين العبد وربه، وظهرت تبعاً لذلك مفاهيم خاطئة حول العبادة من كونها لا طمعاً في الجنة ولا خوفاً من النار، مخالفةً لقول الله تعالى: (( وَيَدْعُونَنَا رَغَبًا وَرَهَبًا ))[الأنبياء:٩٠].

- يلخص شيخ الإسلام ابن تيمية هذا التطور في تلك المرحلة بقوله: "في أواخر عصر التابعين حدث ثلاثة أشياء: الرأي، والكلام، والتصوف، فكان جمهور الرأي في الكوفة، وكان جمهور الكلام والتصوف في البصرة، فإنه بعد موت الحسن وابن سيرين ظهر عمرو بن عبيد وواصل بن عطاء، وظهر أحمد بن علي الهجيمي (ت٢٠٠هـ)، تلميذ عبد الواحد بن زيد تلميذ الحسن البصري، وكان له كلام في القدر، وبنى دويرة للصوفية - وهي أول ما بني في الإسلام - أي: داراً بالبصرة غير المساجد للالتقاء على الذكر والسماع - صار لهم حال من السماع والصوت - إشارة إلى الغناء، وكان أهل المدينة أقرب من هؤلاء في القول والعمل، وأما الشاميون فكان غالبهم مجاهدين"، ومنذ ذلك العهد أخذ التصوف عدة أطوار.

٣- إنَّ الثابتَ مِن الكتب التي كتبها كثيرٌ مِن المعاصرين عن الصوفية، ومِن القدماء: أنَّ أولَّ مَن أسَّس التصوف هم: الشيعة، وأنَّ هناك – بالذات - رجليْن كانا لهما دورٌ في ذلك:

الأول: يسمَّى عبدك، والثاني: يسمَّى أبو هاشم الكوفي الصوفي المتوفى سنة (١٥٠هـ)، أو أبو هاشم الشيعي، فعبدك وأبو هاشم هذان هما اللذان أسَّسا دين التصوف.

فالصوفية أجمع هي وليدة التشيع.. بدأت حركة زهدية، علماً أن الزهد في المشرق [والآن أضف المغرب] إنما تطوّر إلى تصوّفٍ على أيدي الزهاد الفرس الذين يمثلون عصب التشيع ودمه الفوّار" [٢].

٤- ظهر مصطلح التصوف والصوفية أول ما ظهر في الكوفة بسبب قُربها من بلاد فارس، والتأثُّر بالفلسفة اليونانية بعد عصر الترجمة، ثم بسلوكيات رهبان أهل الكتاب، وهذا أمر معقول، حيث إن التيارات العرفانية كانت سائدة بين العراقيين قبل الإسلام، مثل(المندائية) و(المانوية) و(التنسك المسيحي)، وقد بلغ التصوف ذروته في نهاية القرن الثالث الهجري، وواصلت الصوفية انتشارها في العراق، ثم إيران ومصر والمغرب، وظهرت من خلالها الطرق الصوفية.

### نشأة الطرق الصوفية:

وضع أبو سعيد محمد أحمد الميهي الصوفي الإيراني (٤٣٠هـ) أول هيكل تنظيمي للطرق الصوفية بجعله متسلسلاً عن طريق الوراثة.

ويذهب مؤلف موسوعة الصوفية "عبد المنعم الحفني" وغيره إلى أن عبد القادر الجيلاني، صاحب الطريقة القادرية (٤٧١- ٥٦١هـ)، هو أول من نادى بالطرق الصوفية وأسسها، وكانت الرفاعية هي ثاني طريقة، وتلت هذه الطريقة المولوية المنسوبة إلى الشاعر الفارسي جلال الدين

الرومي... وتنتشر في العالم اليوم مئات الطرق، إضافة إلى طرق كثيرة اندثرت، وقد أحصى مؤلف "الموسوعة الصوفية" أسماء (٣٠٠) طريقة صوفية في عدد بسيط من الدول الإسلامية، ناهيك عن الدول الأخرى.

"ويمثل القرن السادس الهجري البداية الفعلية للطرق الصوفية وانتشارها، حيث انتقلت من إيران إلى المشرق الإسلامي، فظهرت الطريقة القادرية... كما ظهرت الطريقة الرفاعية المنسوبة لأبي العباس أحمد بن أبي الحسين الرفاعي (ت ٥٤٠هـ)... وفي هذا القرن ظهرت شطحات وزندقة السهروردي شهاب الدين أبو الفتوح محي الدين بن حسن (٥٤٩- ٥٨٧هـ) صاحب مدرسة الإشراف الفلسفية.

وفي تلك المرحلة، وفي مراحل أخرى برز عدد كبير من رموز الصوفية من ذوي الأصول الفارسية، مثل: الحلاج والبسطامي والسهروردي والغزالي وغيرهم الكثير ممن اعتبروا مرجعاً ورمزاً لجميع المتصوفة حتى يومنا هذا، كما أن كتب وأفكار شيوخ الصوفية القدامى هي التي تسير عليها الطرق الصوفية اليوم(٣).

**هذا وقد تنازع العلماء والمؤرخون في أول مَن تسمَّ بالصوفي، على أقوال ثلاثة(٤):**

أ - قول شيخ الإسلام ابن تيمية ومن وافقه: أن أول من عُرف بالصوفي هو أبو هاشم الشيعي الكوفي (ت١٥٠هـ) بالشام بعد أن انتقل إليها، وكان معاصراً لسفيان الثوري (ت ١٥٥هـ)، وكان معاصراً لجعفر الصادق وينسب إلى الشيعة الأوائل، ويسميه الشيعة مخترع الصوفية، وهو الذي بنى زاوية في مدينة الرملة بفلسطين وكان أبو هاشم حلولياً دهرياً يقول بالحلول والاتحاد.

ب - يذكر بعض المؤرخين أن عبدك - عبد الكريم أو محمد - المتوفى سنة (٢١٠هـ) هو أول من تسمى بالصوفي، ويذكر عنه الحارث المحاسبي أنه كان من طائفة نصف شيعية، تسمي نفسها صوفية، تأسست بالكوفة، بينما يذكر الملطي في التنبيه والرد على أهل الأهواء والبدع أن (عبدك) كان رأس فرقة من الزنادقة الذين زعموا أن الدنيا كلها حرام، لا يحل لأحد منها إلا القوت، حيث ذهب أئمة الهدى، ولا تحل الدنيا إلا بإمام عادل، وإلا فهي حرام، ومعاملة أهلها حرام.

جـ - يذهب ابن النديم في الفهرست إلى أن جابر بن حيان تلميذ جعفر الصادق والمتوفى سنة (٢٠٨هـ) أول من تسمى بالصوفي، والشيعة تعتبره من أكابرهم، والفلاسفة ينسبونه إليهم.

**جغرافية التصوف في العراق(٥):**

من قمة جبل" قلندر" في منطقة " ميركه سور" التابعة لمحافظة " أربيل "حيث مرقد " قلندر" على الحدود التركية، إلى مدينة الزبير أقصى الجنوب، قرب الحدود الكويتية، حيث مرقد الحسن البصري، لا توجد مدينة عراقية من شماله إلى جنوبه لا تحتوي على مرقد لشيخ صوفي أو تكية للدراويش.

١- فمن الموصل حيث بلدة النبي "يونس عليه السلام" والشيخ "علي الهكاري".

٢- والسليمانية حيث بلدة الشيخ "كاكه حسن" والشيخ "عبد الكريم الكسنزان" والشيخ "عبد القادر الكسنزاني" حيث بيته في "إمام قاسم" وتكاياه ومدارسه.

٣- و محافظة صلاح الدين حيث الإمام " علي الهادي ".

٤- إلى بغداد، ففيها وحدها مئات المراقد، وشيوخ الطرق الصوفية على اختلاف مناهجها ومشاربها، "فالإمام موسى الكاظم"، والشيخ "عبد القادر الكيلاني" و"الجنيد البغدادي" و"معروف الكرخي" و"السري السقطي" و"أبو بكر الشبلي" و"الشيخ النوري" وعدد أكثر من أن يحصى.

٥- إلى بابل حيث أضرحة لعدد من الصحابة - رضي الله عنهم - والأنبياء عليهم الصلاة والسلام.

٦- إلى كربلاء حيث مرقد الحسين، والعباس رضي الله عنهما.

٧- إلى النجف مقام " علي بن أبي طالب " رضي الله عنه.

٨- إلى الكوفة حيث مقام "داود الطائي".

٩- و ذي قار حيث مرقد " أحمد الرفاعي ".

١٠- إلى البصرة حيث أضرحة "رابعة العدوية" و"الحسن البصري" و "الحبيب العجمي" .

**الصوفية فى مرمى المقاومة:**

ما يحدث فى العراق من مذابح - يندى لها جبين كل

إنسان، ويتصاغر أمامها إجرام التتار - على أيدى الاحتلال الصليبي الأمريكي.. والرافضة الصفويين، ومع تصاعد أعمال المقاومة العراقية التي تخوضها الغالبية السنية في العراق، وهذه البطولات النادرة لرجالاتها، لم يكن من بد أمام بعض المتصوفة في مدينة كركوك شمال العاصمة بغداد إلا أن أغلقت التكايا الخاصة بها، وأعلنت الجهاد، فالطريقة القادرية الصوفية التي تضم متصوفة من العرب والأكراد أعلنت عبر بيان لها في الحويجة بمدينة كركوك عن إغلاق التكايا الخاصة بها، وتشكيل كتيبة من بين رجالها أطلق عليها اسم 'كتيبة عبد القادر الجيلاني الجهادية'.

ونقل مراسل موقع مفكرة الإسلام [٦]: (عن مصدر مقرب في تلك الجماعة أن الشيخ عبد الرحيم القادري وهو مرشد جماعة المتصوفة القادرية في كركوك أمرهم بإغلاق التكايا، والكف عن الأوراد اليومية القاسية التي تصل إلى ١٠٠ ألف مرة يوميًا من تسبيح وتهليل وتكبير، وحلقات ذكر لله عزَّ وجلَّ.

وأضاف المصدر: أن الشيخ القادري أمرهم كذلك بتشكيل كتيبة جهادية تختص بقتال الأمريكان والقوات العراقية الموالية لها، وفيلق بدر وجيش المهدي.

من جهته: أفاد مراسل المفكرة بأن الشيخ عبد الرحيم القادري البالغ من العمر (٥٥) عامًا اختفى عن الأنظار خلال الأيام التي سبق فيها إعلان جماعة المتصوفة القادرية الجهاد، حيث يرجح أنه سيقود عمليات أتباعه ضد الاحتلال والقوات المتعاونة معها والعصابات الشيعية.

وبدأت ظاهرة انحسار التصوف في العراق بشكل ملحوظ بعد احتلال العراق عام (٢٠٠٣م) وبعد معركة الفلوجة بصورة خاصة؛ حيث عاب العراقيون السنة على المتصوفة جلوسهم طيلة الليل والنهار في المساجد والتكايا في حلقات الذكر، وانشغالهم بضرب الدفوف، وأعمال الدروشة الأخرى، وإلقاء مهمة المقاومة، وقتال الاحتلال على غيرهم، وهم من كانوا يذكرون في أشعارهم ومدائحهم بيت المقدس، وشوقهم إلى تحريره من اليهود.

وبحسب مراسلي مفكرة الإسلام في بغداد وبعقوبة والرمادي والفلوجة وسامراء والموصل، فقد لوحظ عزوف الناس عن الاحتفالات الصوفية بالمولد النبوي والإسراء والمعراج خلال الفترة الماضية، حتى باتت تلك الاحتفالات شبه معدومة في مدن أهل السنة، كما أيد أهل السنة قيام المقاومة العراقية بهدم القباب التي كانت تقام على قبور من يوصفون بالأولياء والصالحين في مدن أهل السنة كالشيخ "محمد المسعود" و"خليل الفياض" ولم يعترض أحد على ذلك.

ونفض الصوفية غبار أفكارهم ومعتقداتهم في الفترة الأخيرة بعد اكتشافهم حجم وخطورة المؤامرة على أهل السنة في العراق؛ حيث تيقنوا أن شيعة إيران الذين لم يتعرضوا للمتصوفة ولم يدرجوهم ضمن قائمه اغتيالاتهم قد أعدوا العدة لضربهم وقتلهم كما يفعلون مع أهل السنة في العراق.

ويقول مراسل المفكرة: إن الشيعة من فيلق بدر وجيش المهدي قد أعطوا الصوفية محبةً وتقديرًا يصفها أهل السنة بالحبة المنومة؛ حتى يحيدوهم عن المقاومة والمشاركة في الدفاع عن أهل السنة، غير أنهم انتبهوا أخيرًا أن هذه مكيدة شيعية لهم دخلوا بها عليهم عن طريقة حب آل البيت والأولياء الصالحين ).

### أهم الشخصيات التي أثرت في حركة التصوف العراقي:

١- **رابعة العدوية:** بصرية، زاهدة، امرأة عاشت حياتها عكس سائر الناس، انعزلت في دنيا التصوف بعيدة عن أمور الدنيا، تبارى الباحثون في تحديد هويتها وسيرة حياتها، لم تتفق آراء الباحثين على تحديد هوية رابعة، فالبعض يرون أنها مولاة لآل عتيق، وآل عتيق بطن من بطون قيس، والبعض الآخر يرون أن من آل عتيق بني عدوة؛ ولذا تسمى العدوية، وأما كنيتها فأم الخير.. وقيل: إن اسم رابعة يعود إلى أنها ولدت بعد ثلاث بنات لأبيها، عاشت في البصرة خلال القرن الثاني الهجري، وقد عمرت حوالي ثمانين عاماً، وتوفيت سنة (١٨٠هـ). ولدت رابعة في عصر كانت سمته الأولى الترف.. فالمسلمون فتحوا معظم بقاع الأرض المعروفة حينئذٍ.. وأصبح خراج الدنيا يُجبى إليهم.. بعُدت المسافة الزمنية بينهم وبين عصر النبوة وعصر الخلافة الراشدة.. فساد الترف والركون إلى الحياة الدنيا وزخرفها وزينتها.. وفي مطلع القرن الثاني الهجري (حوالي سنة ١٠٠ هجرية) ولدت رابعة العدوية لأب فقير لديه ثلاث

بنات.. ومات الأب ورابعة لم تزل طفلة دون العاشرة.. ولم تلبث الأم أن لحقت به.. فوجدت الفتيات أنفسهن بلا عائل يُعانين الفقر والجوع والهزال.. فتفرقن لتبحث كل واحدة منهن عن طريقها..كانت مدينة البصرة في ذلك الوقت تعاني من وباء اجتاحها وأصابها بالقحط.. مما أدى إلى انتشار اللصوص وقُطَّاع الطرق.. وقد خطف رابعة أحد هؤلاء اللصوص وباعها بستة دراهم لأحد التجار القساة..فأصبحت مولاة، وكانت تعزف الناي ثم كانت مغنية، وأنها كانت على قدر من الجمال والحسن.

ثم أعتقها مولاها فأقامت أول أمرها بالصحراء بعد تحررها من الأسر، ثم انتقلت إلى البصرة حيث جمعت حولها كثيرًا من المريدين والأصحاب الذين وفدوا عليها لحضور مجلسها، وذكرها لله، والاستماع إلى أقوالها، وكان من بينهم مالك بن دينار، والزاهد رباح القيسي، والمحدث سفيان الثوري، والمتصوف شفيق البلخي".

ولقيت رابعة ربها وهي في الثمانين من عمرها.. [٧].

قال عنها شيخ الإسلام ابن تيمية – رحمه الله –: "وأما ما ذُكر عن رابعة العدوية من قولها عن البيت: إنه الصنم المعبود في الأرض، فهو كذب على رابعة، ولو قال هذا من قاله لكان كافراً يستتاب، فإن تاب وإلا قُتِل، وهو كذب فإن البيت لا يعبده المسلمون، ولكن يعبدون رب البيت بالطواف به والصلاة إليه، وكذلك ما نقل من قولها: والله ما ولجه الله، ولا خلا منه، كلام باطل عليها. انتهى كلامه رحمه الله.

وقال الإمام الذهبي في السير: قال أبو سعيد بن الأعرابي: أما رابعة فقد حمل الناس عنها حكمة كثيرة، وحكى عنها سفيان وشعبة وغيرهما ما يدل على بطلان ما قيل عنها، وهذا يؤكد على حقيقة كبرى طالما غفل عنها الشانئون، وهي: أنه ليس بين أهل السنة وبين خصومهم عداوة حتى يتقوّلوا على هذا أو على ذاك! بل ما قاله الخصم وثبت عنه رُد عليه وانتُقِد بسببه، كما ردوا على ابن عربي الطائي الصوفي الحلولي الهالك.

ولكنهم التمسوا العذر لمثل رابعة التي لم يثبت هذا عنها[٨].

٢- **معروف الكرخي:** لقبه: الكرخي، نسبة إلى الكرخ ببغداد.

اسمه: معروف بن الفيروزان. كنيته: أبو محفوظ.

ولادته: في بغداد.

بداياته: يذكر أن أخاه عيسى قال: ( كنت أنا وأخي معروف في الكتاب، وكنا نصارى، وكان المعلم يعلم الصبيان (أب، وابن) فيصيح أخي معروف: أحد أحد، فيضربه المعلم على ذلك ضرباً شديداً، حتى ضربه يوماً ضرباً عظيماً، فهرب على وجهه، فكانت أمي تبكي وتقول: لئن رد الله عليَّ ابني معروفاً لأتبعنه على أي دين كان، فقدم عليها معروف بعد سنين كثيرة، فقالت له: يا بني! على أي دين أنت ؟ قال: على دين الإسلام.

قالت: أشهد أن لا إله إلا الله وأشهد أن محمد رسول الله، فأسلمت أمي وأسلمنا كلنا.

معاصريه: السري السقطي وأحمد بن حنبل وابن معين.

مسكنه: الكوفة ثم بغداد.

وفاته: توفى ببغداد سنة (٢٠٠هـ) وقبره يزار [٩].

٣- **ذو النون المصري:** وهو أبو الفيض ثوبان بن إبراهيم، قبطي الأصل من أهل النوبة، من قرية أخميم بصعيد مصر، توفي سنة (٢٤٥هـ) أخذ التصوف عن شقران العابد أو إسرائيل المغربي على حسب رواية ابن خلكان وعبد الرحمن الجامي. ويؤكد الشيعة في كتبهم ويوافقهم ابن النديم في الفهرست أنه أخذ علم الكيمياء عن جابر بن حيان، ويذكر ابن خلكان أنه كان من الملامتية الذين يخفون تقواهم عن الناس ويظهرون استهزاءهم بالشريعة، وذلك مع اشتهاره بالحكمة والفصاحة، ويعدُّه كُتَّاب الصوفية المؤسسَ الحقيقي لطريقتهم في المحبة والمعرفة، وأول من تكلم عن المقامات والأحوال في مصر، وقال بالكشف، وأن للشريعة ظاهراً وباطناً، ويذكر القشيري في رسالته أنه أول من عرَّف التوحيد بالمعنى الصوفي، وأول من وضع تعريفات للوجد والسماع، وأنه أول من استعمل الرمز في التعبير عن حاله، وقد تأثر بعقائد الإسماعيلية الباطنية وإخوان الصفا بسبب صِلاته القوية بهم، حيث تزامن مع فترة نشاطهم في الدعوة إلى مذاهبهم الباطلة، فظهرت له أقوال في علم الباطن، والعلم اللدني، والاتحاد، وإرجاع أصل الخلق إلى النور المحمدي، وكان لعلمه باللغة

القبطية أثره على حل النقوش، والرموز المرسومة على الآثار القبطية في قريته؛ مما مكّنه من تعلم فنون التنجيم والسحر والطلاسم الذي اشتغل بهم.

ويعد ذو النون أول من وقف من المتصوفة على الثقافة اليونانية، ومذهب الأفلاطونية الجديدة، وبخاصة (ثيولوجيا) أرسطو في الإلهيات؛ ولذلك كان له مذهبه الخاص في المعرفة والفناء متأثراً بالغنوصية [١٠].

٤- **البسطامي:** المتوفى سنة (٢٤٣هـ) وقيل: (٢٦١هـ) هو أبو يزيد طيفور بن عيسى بن آدم بن شروسان البسطامي، كان جده مجوسياً، فأسلم وأبوه من أتباع زرادشت، وهو أول من استخدم لفظ الفناء بمعناه الصوفي الذي يقصد منه الاتحاد بذات الله، وقد نسبت إليه من الأقوال الشنيعة؛ مثل قوله: (خرجت من الحق إلى الحق حتى صاح فيّ: يا من أنت أنا، فقد تحققت بمقام الفناء في الله)، (سبحاني ما أعظم شأني) وهو صاحب العبارة الشهيرة: (خضنا بحراً وقف الأنبياء بساحله)، وعلى هذا فإن عقيدة البسطامي واضحة، فهو أول من سعى في نشر عقيدة الاتحاد بين المسلمين، وكان شيخ الإسلام ابن تيمية يعده من أصحاب هذه الطبقة، ويشكك في صدق نسبتها إليه، حيث كانت له أقوال تدل على تمسكه بالسنة، ومن علماء أهل السنة والجماعة من يضعه مع الحلاج والسهروردي في طبقة واحدة.

٥- **الحلاج:** أبو مغيث حسين بن منصور الحلاج، صوفي فيلسوف، ولد بفارس في بلدة الطور قرب مدينة البيضاء، حفيداً لرجل زرادشتي، سنة (٢٤٤- ٣٠٩هـ ) (٨٥٧م)، ونشأ في أواسط العراق وهو أشهر الحلوليين والاتحاديين، عاش في العصر العباسي، وقد تبرأ منه سائر الصوفية والعلماء لسوء سيرته ومروقه، وهو يدعي الحلول، ومعناه: حلول الإله فيه أي: الله سبحانه وتعالى وتقدس عما يقول، واستمر الحلاج في نشر فكره الحلولي حتى استفحل أمره فألقي القبض عليه لتتم مناظرته ومناقشته بحضره القضاة، وبعد أن تيقن الخليفة (المقتدر) أمره، أمر بقتله صلبا سنة (٩٢٢م) في تهم أربع وُجِّهت إليه:

١. اتصاله بالقرامطة.

٢. قوله "أنا الحق".

٣. اعتقاد أتباعه ألوهيته.

٤. قوله في الحج، حيث يرى أن الحج إلى البيت الحرام ليس من الفرائض الواجب أداؤها.

كانت في شخصيته كثير من الغموض، فضلاً عن كونه متشدداً وعنيداً ومغالياً، له كتاب الطواسين الذي أخرجه وحققه المستشرق الفرنسي ماسنيون [١١].

٦- **أبو بكر الشبلي:** هو دلف بن جحدر الشبلي أبو بكر (٢٤٧-٣٣٤ هـ) بغدادي المولد والمنشأ، وأصله أسروشنه من بلاد ما وراء النهر، صحب الجنيد ومن في عصره، وتوفي ببغداد.

قال محمد بن الحسين أبو عبد الرحمن السلمي، أحد كبار الصوفية ومؤلفيهم: سمعت منصور بن عبد الله يقول: سمعت الشبلي يقول: كنت أنا والحسين بن منصور الحلاج شيئاً واحداً، إلا أنه أظهر وكتمتُ، وقد روي عن الشبلي من وجه آخر أنه قال وقد رأى الحلاج مصلوباً: ألم أنهك عن العالمين [١٢].

٧- **النفّري [١٣]:** ولد محمد بن عبد الجبار بن الحسن بن أحمد النفّري في مدينة نِفّر الواقعة على ضفاف نهر الفرات شرقاً، ونِفّر مدينة سومرية تسمى نيبور؛ وهي مبنية على ضفاف الفرات الشرقية، وكانت مركزاً دينياً مهماً قبل أربعة آلاف سنة، ومن بعدُ أصبحت مركزاً للديانة المانوية، ثم المسيحية في القرن السابع الميلادي، توفي النفّري في القاهرة عام (٣٧٥ هـ/٩٦٥م) كما ذكره التلمساني.

إن حياة النفّري غامضة في ولادته وموته وسيرته على كل الأصعدة؛ وليس لدينا أي مصدر يذكر تفاصيل حياته، إلا أن من المؤكد أنه عاش في القرن الرابع الهجري، وعاصر محنة الحلاج التي أثّرت على أهل التصوف ودَعَتْهم إلى التحفظ والكتمان، والتقية الشديدة.

وقد اكتشف كتابَ المواقف والمخاطبات للنفّري المستشرقُ آرثر جون آربري سنة (١٩٣٤م). ويبدو أن عدم ذكر النفّري في مصادر أهل التصوف والعرفان يرجع إلى عدة أسباب أهمها: تأثير محنة الحلاج على جيل المتصوفة الذي تستر بالتحفظ والكتمان، والتخوف من الفقهاء، وتبني النفّري أفكاراً خاصة به تدعوه إلى الغياب التام وعدم الظهور؛ وقد تكون هذه طريقة خاصة بالنفّري

وأصحابه.يبدو أن النفَّري شيعي المذهب؛ وهو ما يبدو من خلال نصِّه الأخير في المواقف والمخاطبات الذي يشير فيه إلى الإمام المنتظر الذي يظهر وأصحابَه في آخر الزمان، بحسب الرواية الشيعية، والاعتقاد الشيعي بخصوص الإمام المنتظر متطابق مع مفردات النص النفَّري، وتؤكد ذلك طريقتُه العرفانية، وإذا صحَّ أن ولادة النفَّري كانت في مدينة نِفَّر العراقية فإن ذلك يقوِّي الظنَّ بتشيُّعه، فمدينة نِفَّر تجاور الكوفة وبابل؛ ومن المعروف أن الكوفة والمدن المحيطة بها أكبر المراكز العلمية والتجمعات الشيعية في العراق، في الماضي كما في الحاضر.

خلاصة القول: تبقى حياة النفَّري ومماته يكتنفهما الغموض؛ وليس لدينا أي دليل واضح على تفاصيلهما.

٨- **الغزالي (٤٥٠ ـ ٥٠٥هـ):** أبو حامد محمد بن محمد بن محمد بن أحمد الطوسي الملقب بحجة الإسلام، ولد بطوس من إقليم خرسان، نشأ في بيئة كثرت فيها الآراء والمذاهب مثل: علم الكلام والفلسفة، والباطنية، والتصوف؛ مما أورثه ذلك حيرة وشكًّا دفعه للتقلُّب بين هذه المذاهب الأربعة السابقة أثناء إقامته في بغداد، رحل إلى جرجان ونيسابور، ولازم نظام الملك، درس في المدرسة النظامية ببغداد، واعتكف في منارة مسجد دمشق، ورحل إلى القدس، ومنها إلى الحجاز، ثم عاد إلى موطنه، وقد ألف عدداً من الكتب منها: تهافُت الفلاسفة، والمنقذ من الضلال، وأهمها: إحياء علوم الدين.

ويعد الغزالي رئيس مدرسة الكشف في المعرفة، التي تسلمت راية التصوف من أصحاب الأصول الفارسية إلى أصحاب الأصول السنية، ومن جليل أعماله هدمُه للفلسفة اليونانية، وكشفه لفضائح الباطنية في كتابه: المستظهري أو فضائح الباطنية.

ويحكي تلميذه عبد الغافر الفارسي آخرَ مراحل حياته، بعدما عاد إلى بلده طوس، قائلاً: (وكانت خاتمة أمره إقباله على حديث المصطفى ومجالسة أهله، ومطالعة الصحيحين ـ البخاري ومسلم ـ اللذين هما حجة الإسلام) ا. هـ. وذلك بعد أن صحب أهل الحديث في بلده من أمثال: أبي سهيل محمد بن عبد الله الحفصي الذي قرأ عليه صحيح البخاري، والقاضي أبي الفتح الحاكمي الطوسي الذي سمع عليه سنن أبي داود [طبقات السبكي ٤/ ١١٠].

ـ وفي هذه المرحلة ألف كتابه "إلجام العوام عن علم الكلام" الذي ذم فيه علم الكلام وطريقته، وانتصر لمذهب السلف ومنهجهم فقال: (الدليل على أن مذهب السلف هو الحق: أن نقيضه بدعة، والبدعة مذمومة وضلالة، والخوض من جهة العوام في التأويل، والخوض بهم من جهة العلماء بدعة مذمومة، وكان نقيضه هو الكف عن ذلك سنة محمودة) [ ص: ٩٦].

ـ وفيه أيضاً: أنه رجع عن القول بالكشف، وإدراك خصائص النبوة وقواها، والاعتماد في التأويل أو الإثبات على الكشف الذي كان يراه من قبل غاية العوام [١٤].

٩- **عبدالرحمن الكيلاني النقيب:** (١٨٤١ – ١٩٢٧م) نقيب إشراف بغداد، ورئيس المجلس التأسيسي العراقي بعد مؤتمر القاهرة الذي عقد لمنح الاستقلال للعراق بعد ثورة العشرين في العراق، ولد في بغداد من عائلة صوفية، اختير كأول رئيس وزراء بعد سقوط الدولة العثمانية في (١٩٢٠م) وكانت من مهامه تأسيس الدوائر والوزارات العراقية، وانتخاب ملك للعراق ، حيث انتخب المجلس الأمير فيصل الأول ملكاً على عرش العراق في (٢٣ آب ١٩٢١م) وتولى النقيب رئاسة الوزارة لمرتين بعدها حتى عام (١٩٢٢م)[١٥].

## الهـــوامش

(١) الإسلام الصوفي العراقي/ عن مجلة ميزوبوتاميا ـ جنيف ./ http://www.mesopotamia4374.com .

(٢) مقال: (صوفية المغرب يتهمون صوفية المشرق بالتشيع !!) / موقع صيد الفوائد .

(٣) شبكة الراصد الإسلامية http://www.alrased.net .

(٤) نفس المصدر .

(٥) رياض القيسي / منتديات أبواب http://www.abwaab.net/vb/showthread.php .

(٦) بعد خشية الغدر الشيعي .. الصوفية يدخلون على خط المقاومة / موقع مفكرة الإسلام .

(٧) مجلة ميزوبوتاميا ـ جنيف ./ http://www.mesopotamia4374.com .

(٨) عبد الرحمن السحيم / سؤال عن رابعة العدوية / http://www.saaid.net/ .

(٩) موقع الطريقة الكسنزانية ./ http://www. kasnazan.com .

(١٠) موقع الصوفية: http://www.alsoufia.com.

(١١) موقع الصوفية: http://www.alsoufia.com . وإبراهيم داود الداود جريدة الرياض ١٣ شوال ١٤٢١ هـ.

(١٢) موقع الصوفية: http://www.alsoufia.com.

(١٣) مجلة ميزوبوتاميا ـ جنيف . / http://www.mesopotamia4374.com .

(١٤) موقع الصوفية: http://www.alsoufia.com. وإبراهيم داود الداود جريدة الرياض ١٣ شوال ١٤٢١ هـ .

(١٥) موسوعة ويكيبيديا: http://ar.wikipedia.org .

# الطريقـــة البوتشيشيـــة

عبد الله بن سعيد إعياش

أصل تسميتها ونسبتها:

سميت هذه الطريقة بالبوتشيشية نسبة إلى مؤسسها: العباس البوتشيشي، والبوتشيشي: نسبة إلى التشيش، وهو طعام من القمح المجروش، يشبه ما يسمى بالجريش، وقد سمعت من مقدم الزاوية البوتشيشية الأم المدعو: الحاج عبد اللطيف في أصل هذه النسبة قصة عجيبة مفادها: أن المختار والد العباس زار شيخه أبا مدين الجزائري ضمن مجموعة من المريدين، فقدم لهم الشيخ طعام التشيش في قصعة كبيرة، فجعلوا يأكلون حتى شبعوا، وامتلأت بطونهم، فأمرهم الشيخ بمواصلة الأكل، فلم يمتثل الأمر –حسب زعمهم- إلا المختار، الذي استمر يأكل حتى انتهى ما في القصعة من التشيش، ولما أصبح الصباح، وأرادوا أن يودعوا شيخهم هذا طلبوا منه دعوة صالحة؛ فقال لهم: معشر الأبناء ! السر الذي كان عندي انتقل إلى المختار بوتشيش ! ومن ذلك اليوم عرف بهذا اللقب، وعرفت الطريقة التي أنشأها ابنه بعد ذلك بالطريقة البوتشيشية.

نشأتها ومؤسسها وأشهر علمائها:

نشأت هذه الطريقة في منتصف القرن الماضي، في موقع على مقربة من قرية يطلق عليها (مداع) بحوالي أربعة كيلومترات، من جهة الحدود المغربية الجزائرية؛ وترجع هذه الطريقة في أصلها إلى الطريقة العليوية، وهي طريقة - في الجزائر- متفرعة عن الطريقة القادرية.

مؤسسها:

هو العباس بن المختار القادري البوتشيشي، ولد في بداية القرن الرابع عشر للهجرة تقريباً، وكان أمياً لا يقرأ ولا يكتب، الأمر الذي يعطي تصوراً واضحاً عن هذه الطريقة التي احتوت على كثير من الجهالات، والضلالات، والحماقات! وقد قيل: إن الكتاب يُعرف محتواه من عنوانه.

وقد كان العباس - مؤسس الطريقة البوتشيشية- زيادة على كونه أمياً لا يقرأ ولا يكتب، فاقد البصر، قال الشيخ محمد المغراوي حفظه الله وهو يرد على عبد السلام ياسين في إبهامه اسم شيخه العباس في معرض تزكية نفسه والتمدح بالتصوف والصوفية: ( أخي القارئ! أتدري ماذا يقصد هذا الرجل في قوله: "ولقيت رجلاً طيب الله ثراه"؟! لماذا أبهم اسمه ولم يذكره حتى يعرف من هو؟! أو أن هذا من الأسرار الصوفية التي لا يجوز أن يباح بها؟!

أما مذهب المحدثين، وعلماء الجرح والتعديل، فيسمون هذا مجهولاً، ولا قيمة له عندهم في الرواية، والرجل المذكور في هذه العبارة هو العباس البوتشيشي، كان رجلاً أعمى، أمياً، لا علم عنده كما يذكر تلامذته الذين تابوا من ضلاله، وما يزال ضلاله منتشراً في هذه البلاد مع الأسف.

وقال في موضع آخر في الرد على ياسين أيضاً: (تلاحظ أخي القارئ تعظيم هذا الرجل –يعني: ياسين- لمن زعمه شيخه، وكما سبق، كان أعمى في بصره وفي بصيرته، والنبي صلى الله عليه وسلم حذرنا من البدع والمبتدعة في كثير من أحاديثه.

-عقيدته:

أما عقيدته فهي حلولية، حيث يؤمن بأن الله يحل في بعض خلقه، وأتباعه يعتقدون أن الله –تعالى الله عما يقولون علواً كبيراً- يحل في شيخهم؛ ويستدلون على هذه العقيدة الكفرية بقصة إبراهيم عليه السلام مع الأفلاك، التي ذكرها الله في القرآن الكريم، فيزعمون أن قوله عليه الصلاة والسلام: (هذا ربِّي) أي: حل فيه، وقوله تعالى: ( فلما أفل) أي: زال. وعلى هذا فإنهم يعتقدون أن الله يحل في شيخهم في بعض الأوقات، فيخرون عند ذلك للشيخ سجداً، ويقولون: هذا الله، تعالى الله عن قولهم علواً كبيراً.

وفاته وخليفته :

توفي العباس البوتشيشي في منتصف ذي الحجة عام إحدى وتسعين وثلاثمائة وألف للهجرة، عن اثنتين وثمانين سنة كما نقلته من اللوحة المكتوبة على ضريحه بزاويته في

مداع/ وقد خلفه على مشيخة هذه الطريقة الحائدة عن المنهج القويم والصراط المستقيم ابنه المدعو: حمزة، شيخ الطريقة الحالي، المولود في حدود (١٣٢٩- ١٣٣٠هـ)، والذي حمل لواء الإضلال والصد عن الكتاب والسنة بعد أبيه.

قال الدكتور محمد المغراوي متع الله بحياته وهو يتحدث عن العباس: (وما يزال ابنه يحمل راية الضلال، وينهب ويسلب أموال الناس باسم هذا الضلال الذي عشش وفرخ في كثير من البلاد المغربية...).

وقد تولى حمزة المذكور مشيخة الطريقة عام: (١٩٧١م)، وقام بتطوير الطريقة شكلاً، حيث زاد في بعض أورادها الفردية والجماعية، وأخذت الطريقة في عهده نهجاً آخر في التوسع والانتشار، خلافاً لما كانت عليه في عهد أبيه، حيث صار جل المريدين المنتسبين إليها شباباً وأطراً عليا، وأكثرهم من رجال التعليم الجامعيين.

ومن شروط طريقته: الخضوع الكامل للشيخ، واستشارته في كل الأمور، حتى الشرعية منها الثابتة بالنصوص القطعية، فلا يقوم المريد بذكر، أو قراءة قرآن، أو حج، أو عمرة إلا بإذن الشيخ، كما لا يباشر أمراً من أمور دنياه: من زواج، أو طلاق، أو سفر، أو التحاق بوظيفة أو تركها إلا بإذن من الشيخ أيضاً، وقد أخبرني أحد الإخوة القضاة، الذي استجره بعض زملائه في سلك القضاء وغرروا به حتى أخذوه في زيارة لشيخهم: أنه قابل في زاويتهم مريداً كان موظفاً بوزارة العدل، فاستقال من وظيفته بأمر من الشيخ؛ لأن الشيخ رأى أن عمل هذا المريد ليس فيه أمل، وكان قد مضى على استقالة هذا المريد عندما حصل ذلك اللقاء: سنتان؛ وكان هذا المريد معتكفاً في الزاوية بعد أن ترك وظيفته، والإذن الذي اشترطه حمزة البوتشيشي في طريقته هو بمثابة صلاة الاستخارة عند المسلمين.

ويزعم حمزة أنه شيخ مربي، وأن اتباع الشيخ المربي أمر محتم واجب؛ لأن النبوة ختمت بمحمد صلى الله عليه وسلم، وبقي يحملها أهل الله، ومنهم القطب الرباني الذي هو الشيخ المربي؛ كما أحدث حمزة اصطلاحاً جديداً يحمل عقيدة جديدة، وهذا الاصطلاح الجديد هو: "الشيخ الحي" ومعناه: أنه لا ينكر الطرق الصوفية السابقة كالتيجانية، والدرقاوية وغيرها، لكن لابد من التخلي عنها عند ظهور الشيخ الحي، وقد استخرج حمزة من اسمه المكون من أربعة أحرف أربعة معاني، كل معنى نزله على حرف من تلك الحروف، حتى يتمكن من إحكام القبضة على تلك القطعان من المريدين السذج الذين يتلقون بالقبول كل ما يلقيه إليهم هذا الضال المضل:

فحرف الحاء يعني: احترام.

وحرف الميم: امتثال.

وحرف الزاي يعني: زيارة.

وحرف التاء يعني: ثبات.

ولا يخفى ما في حمل تلك الحروف على تلك المعاني من التكلفة الذي هو السمة الغالبة على الطرقيين المخرفين!!

والجدير بالذكر: أن المصدر التشريعي الأساس الذي يأخذ منه حمزة شريعته الصوفية هو كتاب الإبريز، الذي أملاه عبد العزيز الدباغ - الأمي الجاهل- على تلميذه أحمد بن المبارك؛ فعليه وروده، وعنه صدوره، فهو إنجيله الذي يجمع بين العهد القديم والعهد الجديد.

ومما وصف به الشيخ المغراوي هذا الكتاب - الذي يتغذى حمزة ومن ورائه أتباعه مما قاءه فيه مؤلفه- قوله: (وأما الإبريز فهو مخبأة للشرك والبدع، فمن أراد الوقوف على كتاب المشركين فعليه بهذا الكتاب).

أما عن أشهر علمائها: فإن أشهر أتباع هذه الطريقة إنما ينتسبون إلى العلم والثقافة بمعناهما العصري، البعيد كل البعد عن المعنى الأصيل للعلم والثقافة المبني على الكتاب والسنة، وفهم السلف الصالح لهما، ومن هؤلاء:

-عبد السلام ياسين: وهذا الرجل الذي يتزعم حالياً جماعة أشبه ما تكون بطريقة صوفية، وتدعى: "جماعة العدل والإحسان"، قد مر في حياته باضطرابات فكرية وعقائدية، حيث عاش ردحاً من الزمن يتغذى على فتات متعفن من الفكر المادي الملحد، المؤله للعقل، وهو فكر (فرويد) و (ماركس)، وفجأة انتقل إلى نحلة أخرى أقبح من سابقتها، ومناقضة لها تمام المناقضة، وهذه النحلة الجديدة: هي التصوف الذي لا أثر للعقل فيه ألبتة! فكان ياسين بانتقاله ذلك كالمستجير من الرمضاء بالنار، قال ابن المؤقت المراكشي رحمه الله: (قال صاحب المدخل: إن كل طريقة من طرق العلم يمكن اختبارها إلا طريقة التصوف، فإنهم يبنونها على حسن الظن والمسالمة، وإذا أراد عالم أن يعرضها على كتاب الله وسنة رسوله، قالوا له: أنت منكر ) ا.هـ، وفي هذا يقول القائل:

وزاد الأمر حتى لست تلقى
فتى يهوى كلاماً للنبي
ولا ما قاله الرحمن طرا
سوى نقل الولي عن الولي
كلاماً ليس يعلمه جليل
من الصحب الأكارم في الندي
وإن قلت الدليل يجيب شخص
لأنت بذاك منكر ذا الجلي
روى ذا الحكم شيخي في منام
فعجباً للتنطع من ولي

وقد يتساءل أو يغضب بعض المعجبين بهذا الرجل إعجاب جاهل بحقيقة ما هو عليه من البعد عن الحق، فيقول: كيف يكون ما انتقل إليه الشيخ أقبح مما انتقل منه؟!

فأقول:

١- إن النحلة الأولى –نحلة الماركسية والفرويدية- التي كان عليها ياسين لا يختلف اثنان من عوام المسلمين - فضلاً عن عقلائهم- في كونها زيغاً وكفراً وضلالاً، أما النحلة الثانية –نحلة التصوف- فقد انخدع بزخرفها الخادع وظاهرها الإيماني المبطن بالزندقة والكفر والإلحاد خلق كثير، ومن كل الطبقات. ولا شك أن خطورة النحلة الأولى أهون من خطورة النحلة الثانية بمراحل؛ لأن الأولى كفر بين، ومعصية واضحة، يشعر صاحبها دائماً أنه على باطل، الأمر الذي يدعوه إلى العمل على الانسلاخ منه، والتوبة النصوح إلى الله من شؤمه؛ بخلاف النحلة الثانية، فإنها بدعة خبيثة خطيرة، لا يعلم خطورتها من لم يتسلح بسلاح العلم والمعرفة بكتاب الله وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم، وقد يتورط فيها الإنسان وهو يظن أنه على الصواب الذي لا ينبغي التحول عنه، وبذلك يسد على نفسه باب التفكير في التوبة والأوبة إلى الحق؛ لأنه يرى أن ما هو عليه هو عين الحق؛ ومن هنا تكلم كثير من أهل العلم من السلف والخلف في كون البدعة أشد خطورة من المعصية، لأن المعصية يتاب منها، والبدعة لا يتاب منها.

وممن تكلم في هذه المسألة كلاماً كافياً شافياً: الإمام الشاطبي رحمه الله، في كتابه العظيم: الاعتصام؛ وكذا العلامة محمد الخضر الشنقيطي رحمه الله في كتابه: مشتهى الخارف الجاني في رد زلقات التيجاني الجاني.

٢- النحلة الأولى بمثابة العدو المكشوف، المعلن للأمة بعداوته، الأمر الذي يدعو الأمة لأخذ حذرها منه، واستنفار كل الطاقات لمحاربته، ورد كيده في نحره؛ سواء على الصعيد العسكري كما حصل في أفغانستان؛ أو على الصعيد العقائدي والفكري، كما حصل في كل بلاد الإسلام، حيث هب كثير من علماء الإسلام ومفكريه لبيان خطر الفكر المادي الماركسي والفرويدي وغيره؛ حتى كانت النتيجة أن أحجر ذلك الفكر، وألقم دعاته الحجر في أفواههم التي طالما فغروها –فضها الله- للتغني والتمدح بذلك الفكر؛ فمنوا بالهزيمة النكراء التي كانت أروع صورها في أفغانستان. أما النحلة الثانية فإنها بمثابة العدو الذي يلبس لباس الصديق الحميم، وحقده على الأمة أشد من كل حقد، وخطره عليها أشد من كل خطر؛ لأنه يهدد حصونها من الداخل. وقديماً قيل: (احذر عدوك مرة، واحذر صديقك ألف مرة). ومما يدل دلالة واضحة على ما قررته آنفاً حول ياسين، قول هذا الأخير: (واطلعت في تجارب اليهود والنصارى الروحية، ثم رجعت إلى كتب الصوفية أستقصيها، وأنشد المفتاح الذي يفتح باب المعرفة، فوجدت أنهم –يعني: الصوفية- مجمعون على أنه: (من لا شيخ له فلا مدخل له في أمرنا هذا). . وكنت أنظر فيما كتبه بعض فطاحل العارفين بالله، فلا أطيق الاستمرار في قراءته لغرابة ما ينطقون. . حتى إذا أراد الله أن يتم علي نعمته، لقيت على غير ميعاد رجلاً لم أكن أعرفه، نطق من دون أن أستنطقه، وأخبرني بأن ما كنت أطلبه موجود، وأن الشيخ المربي في البلاد على قيد أنملة ممن كان يائساً من وجود شاذلي أو جيلي في هذا العصر ! كنت قرأت كتباً، وقارنت من هذه الثقافات الأجنبية، وكانت العقلانية الماركسية الفرويدية مرتعاً لنشاطي الفكري منذ أمد بعيد، تعيش بل تعشعش في ذهني، ولم تكن العقلية العقلانية تفتت أثناء أزمتي في البحث على الحقيقة؛ لذا دخلت طريق القوم أحمل معي أوزار عادات جاهلية، وعبء أوهاق ثقافية تؤله العقل، . . وأخذ علي العهد الصوفي مقدم الطريقة.. ).

وقد لخص الشيخ محمد المغراوي –وفقه الله- مصادر التلقي عند ياسين في الأمور التالية:

١- الفكر الرافضي.
٢- فكر الحلاج المقتول على الزندقة.
٣- فكر ابن عربي الحاتمي شيخ القائلين بوحدة الوجود.
٤- فكر الشعراني صاحب الطبقات التي حشاها بكل

تخريف وهذيان.

٥- فكر الدباغ ومضحكاته وكفرياته التي حشا بها كتابه الإبريز.

٦- فكر التيجاني الذي جمع ضلالات المتصوفة الأولين والآخرين، وزاد عليها ما لا يخطر على خيال متخيل.

والجدير بالذكر قبل إنهاء الكلام عن هذا الرجل: أنه زعم في يوم من الأيام أنه ترك الطريقة البوتشيشية، وعلل ذلك بأن أصحابها لا يهتمون بجانب الجهاد، والحقيقة أن الذي جعله ينفصل عن البوتشيشيين إنما هو ما جرى عليه العمل عند الصوفية، وصار سنة متبعة لديهم، وذلك أنه كلما أوهم الشيطان أحدهم أنه صار من الواصلين، وسول له غروره أنه أصبح شيخاً مربياً، إلا وانشق عن طريقة شيخه بإنشاء طريقة جديدة، يصبح هو شيخها المتربع على كرسي ضلالتها، ومما يؤيد قولي هذا ما ذكره الشيخ محمد المغراوي حفظه الله من أن ياسين كان داعية كبيراً من دعاة البوتشيشية إلى أن هلك شيخه الضال: العباس، وكان يطمع في الميراث، ونازعه ابنه -يعني: حمزة- فغضب لذلك وخرج من زاويتهم، وإلا فقد كان هو المرشح لامتداد هذا الضلال، ومع الأسف: فإن أتباعه ومحبيه يزعمون أنه تراجع عن الطريقة البوتشيشية، وهو لم يتراجع في يوم من الأيام -كما في هذه الرسالة- وكما سننقل عبارته من "الإحسان الرجال" التي ذكر فيها هذا الشيخ الضال بالتعظيم والتقدير، قال في" الإحسان الرجال" (ص١١): (كنت كتبت منذ خمسة عشر عاماً - وأنا يومئذ لا أزال في بداياتي- عن صحبتي لشيخ عارف بالله، رحمه الله رحمة واسعة، وجزاه عنا خيراً. .!!) وهل بعد هذه الصراحة من صراحة؟!

فهذا الرجل لا يزال يثني على شيخه المزعوم الذي ذكره في كل كتبه، ويذكره بصيغة الجهالة، يتحايل على الناس بذلك؛ حتى لا يعرفوا مشربه ومأخذه، وهذا الكتاب صدر سنة (١٩٨٨م) رقم الإيداع (٨٩٩) وما يعتمد عليه أصحابه في رجوعه هو ما جاء في مجلة الجماعة، وهي مجلة اجتهدت في نشر الفكر الشيعي في هذه البلاد التي صانها الله من هذا الرجس بفضله وكرمه، وإن كانت الصوفية كما نكرر دائماً تعتبر تمثيلاً لها، نسأل الله أن يكفينا شر الجميع، وعدد المجلة هو الحادي عشر، السنة الرابعة، بتاريخ فاتح شعبان عام (١٤٠٣هـ)، والمكتوب في آخر الغلاف على الجهة اليسرى بعنوان: تنبيه: أرجو أن يعتبر القارئ الكريم محتوى المنهاج النبوي آخر ما وصل إليه فكري، أثارت فقرات من كتابي: الإسلام بين الدعوة والدولة، والإسلام غداً جدلاً، فقد تجاوزت ما هنالك من آراء فلا أجادل عنها، وما أنا إلا طالب علم أصيب وأخطئ، لست معصوماً!! نعوذ بالله من الجدل، ومن أن تستنزف قوانا في المجاولات الكلامية. اهـ ما في التنبيه.

قال الشيخ المغراوي: أقول: الذي يرجع إلى تاريخ علماء المسلمين وغيرهم، يجدهم إذا تراجعوا عن ديانة أو نحلة أو مذهب أو كتاب أو رأي أو فكرة أو عقيدة بينوا ذلك بالتفصيل، ولولا خشية الإطالة لذكرت في هذا مجلداً كبيراً، ولكن يكفي أن أشير إلى بعض الأسماء، وأترك اليهود والنصارى الذين أسلموا وبينوا انحراف وتحريف تلك الديانات بمؤلفات خاصة، أما ياسين فيؤكد عدم تراجعه كما جاء في "الإحسان الرجال" (ص١٢)، قال ما لفظه: (الآن أعود إلى الموضوع، لا لأتبرأ من الصوفية كما ألح علي بعضهم، ولا لأتحمل تبعات غيري، لكن لأقول كلمة الحق التي لا تترك لك صديقاً)! فلا أدري أقرأ أصحابه هذه العبارة وفهموها أم أنهم روجوا الكتاب ولم يعرفوا ما بداخله؟!

وهذا هو ظننا بهم، وإلا اتهمناهم في عقليتهم وفي دينهم. . فالذي يتمعن في عبارة هذا الرجل لا يستفيد نسخاً، لامن قريب ولا من بعيد، هذا من جهة. ومن جهة أخرى: فإنه اعتبر ذلك جدلاً وليس غلطاً منه، أو انحرافاً عقدياً أو علمياً، حتى يتجنبه الناس، وإنما القضية مجرد جدل بين الخصوم ! وهو لا استعداد عنده بأن يقنع الناس بصحة رأيه حتى لا يدخل في الجدال، ولو كان صادقاً هو وأصحابه لقال بالحرف الآتي: من عبدالسلام ياسين إلى جميع المسلمين، فإنه قد تبين لي أن كل ما كتبته في "الإسلام بين الدعوة والدولة" و"الإسلام غداً" كله ضلال، ولا أسمح بطبعه، ولا بيعه، ولا أتحمل مسؤولية من قرأه، فإنني أتبرأ إلى الله منهما، وأتوب إليه مما أدخلت فيهما من ضلال. حرر هذا بتاريخ كذا وكذا.

فكيف والرجل يلخص ذلك ويركزه ويقدمه للمسلمين باسم جديد يغري الناس به، ويسميه "بالإحسان"، فما أدري هل هذه غفلة من أصحابه؟ أو استغفال أو عدم علم بما في هذه الكتب)؟!

وعلى كل الأحوال: سواء كان ياسين تراجع عن البوتشيشية أم لم يتراجع، فإنه كان داعية من دعاة

الضلال، وبوقاً من أبواقه، وأن كتبه كانت فتنة لكل مفتون، فقد قدم بذلك للبوتشيشيين خدمة لم يقدمها لهم أحد غيره.

٢- د/ أحمد لسان الحق: أستاذ جامعي بكلية الآداب بالرباط.

٣- د/ طه عبدالرحمن: أستاذ جامعي بكلية الآداب بالرباط أيضاً.

٤- أحمد التوفيق: مدير معهد الدراسات الأفريقية بالرباط أيضاً.

٥- بالعكيدة عبدالرحمن: خريج كلية الحقوق بالدار البيضاء، ومقدم إحدى الزوايا البوتشيشية الخمسة بها.

٦- أحمد بنيعيش: خريج دار الحديث الحسنية بالرباط!

٧- الدكتور أحمد قسطاس: المدير المسؤول عن مجلة المريد.

**انتشارها وأبرز انحرافاتها وآثارها:**

أما فيما يخص انتشارها: فإن عدواها قد عمت كل مناطق المغرب، لكن أكثر كثافتها إنما هي في الرباط، وسلا، والدار البيضاء، ومكناس، وفاس، بل إن عدواها انتقلت إلى خارج المغرب أيضاً، حيث يوجد لها مراكز في كل من فرنسا وبلجيكا وألمانيا وكندا وغيرها.

أما أبرز انحرافاتها التي انفردت بها عن بقية الطرق مع موافقتها في غيرها، فمنها:

١- ضرورة استحضار صورة هذا الشيخ الضال عند قراءة تلك الأذكار والأوراد المخترعة، الأمر الذي أدى بالمريدين البوتشيشيين إلى اتخاذ صور فتوغرافية لهذا الزنديق، ووضعها أمامهم أثناء الذكر! لأنه -حسب زعمهم الباطل- لا يحصل التوجه من المريد إلى الله إلا بوضع صورة الشيخ الفتوغرافية أمامه.

٢- أن شيخ الطريقة الحالي -حمزة- لا يحضر جمعة ولا جماعة، وقد سمعت هذا من أحد علماء تطوان، كما سمعت ذلك أيضاً من أستاذ آخر من أهل الرباط ممن تابوا من ضلال هذه الطريقة.

٣- القضاء المبرم على عقل المريد المنتسب لهذه الطريقة، وإلغاء التفكير لديه تماماً، وذلك أن الشيخ إذا جاءه شخص جديد يسأله عن الطريقة، فلا يزيد عن أن يقول له: (أن تسلم لما ترى، وأن تبعد عقلك، وأن تلزم ورداً فترى عجباً)، ويصف طريقته هذه بقوله: (هذه طريق الحال، لا تعرف بالمقال، ولا تدرك بالأعمال، هي من فيض الله!!).

٤- غلو المريدين في شيخهم، بشكل يختلف عن غلو كل مريدي الطرق الأخرى في أشياخهم، بحيث يتسابقون على شرب الماء الذي يغسل به يديه تبركاً به، أما إذا قص بعض شاربه أو لحيته، فإنهم يتبركون بشعره، بل يضعه بعضهم في محفظته ليحتفظ به، وإذا وقف بدأ الصياح، والعويل، والبكاء، والركوع والاهتزاز! وأحياناً السجود والتلفظ بكلمات يعد المتلفظ بها في ميزان الكتاب والسنة: كافراً، مثل قول بعضهم: سيدنا محمد يتجلى في الشيخ. ولهم في إطرائه عبارات ؛ كقول بعضهم: رأيت في الشيخ أنواراً قوية. وقول الآخر: لما قبلت يده سمعتها تقول: لا إله إلا الله! بل ذكر لي الأستاذ الذي أخذت عنه هذه الأقوال - وهو ممن تاب من طريقتهم- أنه التقى -عندما كان منهم- بمريد بوتشيشي رجع من رحلة الحج، فسأله كيف قضى مناسكه؟ فلم يذكر له شيئاً مما قام به من أركان الحج وواجباته وسننه، بل اكتفى بذكر شيء واحد، وهو أنه كان وهو يؤدي المناسك -إن كان أداها فعلاً- لا يرفع بصره إلا ويرى شيخه حمزة، علماً أن حمزة كان مقيماً في زاويته على إغواء خلق الله، وبينه وبين الأماكن المقدسة -صانها الله عن الاقتران باسم هذا الضال المضل- آلاف الأميال!!

أما عن آثار هذه الانحرافات فهي من الوضوح بمكان، ولو لم يكن فيها إلا القضاء المبرم على العقل الإنساني، لكان ذلك كافياً في الفساد، فكيف إذا انضم إليه أمور أخرى كل واحدة منها تباهي أختها بسبقها في مضمار السوء والضلال؟! وما أدري كيف تنهض أمة ودع أهلها عقولهم، وأبانوها بينونة كبرى، وألفوا تفكيرهم، ورضوا بشرب بقايا غسل يدي آدمي لا يحفظ لله حرمة، ولا يقيم له فرضاً ولا نفلاً؟! بل كيف ترقى أمة آلاف أفرادها إنما يسيرون بعقل رجل واحد؟! فلا يقومون بعبادة، أو زواج، أو سفر، أو مباشرة وظيفة، ولا يضعون لبنة على أختها إلا بإذنه، بل إنهم يتركون وظائفهم تنفيذاً لأوامر هذا الديكتاتور المتسلط على الرقاب باسم الولاية! ألا تباً لولاية من هذا القبيل، وعلى هذه الشاكلة!! وتباً لتلك العقول التي رضيت بمثل ذلك الاستعباد والاسترقاق والتسلط المشين! وتباً لتلك النفوس التي أخلدت إلى الهوان ورضيت به!! وفي مثل هؤلاء يقول القائل:

من يهن يسهل الهوان عليه
ما لجرح بميت إيلام

(ص ١٠٥ - ١١٨).

# متـــابعـــات

## الزاوية البودشيشية بالمغرب تستقبل آلاف المريدين في المولد!!

استعدت الزاوية البودشيشية بالمغرب لاستقبال عشرات الآلاف من المريدين بالزاوية القادرية بقرية مداغ المغربية، ساعين لما يسمونه التبرك بلقاء الشيخ "سيدي حمزة القادري البودشيشي" البالغ من العمر ٨٦ عامًا.

ويشتمل المريدون على زوار من عشرات العرب والمسلمين الأجانب من دول أخرى من بينها: فرنسا وبلجيكا ومالي وإسبانيا والهند وباكستان والبحرين وقطر والإمارات وتايلاند وبريطانيا والولايات المتحدة، علاوة على مئات الحافلات والسيارات القادمة من جميع أنحاء المغرب، وعلى متنها رجال ونساء متخشعين طامعين في رؤية طلعة الشيخ (سيدي حمزة).

تبدأ مراسم الاحتفال بالاجتماع حول بناية عتيقة، أمام بابها الحديدي الكبير، ويصطفون بكل نظام متأهبين - تحت حراسة أمنية مشددة- للمرور أمام حضرة الشيخ (سيدي حمزة) والنظر إليه، وفي الداخل يجلس الشيخ (سيدي حمزة) مرتدياً عمامة، ومسدلاً لحية بيضاء ينظر بهدوء شديد لهذه الجحافل من المريدين، تمشي حافية القدمين احتراماً له.

كما يتضمن برنامج اللقاء ختمات متعددة للقرآن الكريم، إلى جانب تنظيم حفلات المدائح والأذكار الجماعية الخاصة بالطريقة، كما تعتبر رؤية شيخ الطريقة "من أغلى الأمنيات لدى المريدين"، الذين يقطعون مسافات كبيرة لتحقيق هذا الهدف.

وسيشهد مقر الزاوية القادرية البودشيشية تنظيم ندوة عالمية هي الثانية من نوعها، تناقش هذا العام موضوع "التصوف والقيم المعاصرة"، حيث يسلط الضوء على دور التصوف وموقفه مما يجري من أحداث على الصعيد المحلي والعالمي، بحسب المنظمين.

هذا! وكان المنظمون قد سمحوا العام الماضي للصحافيين بالدخول إلى غرفة نوم "الشيخ (سيدي حمزة)" الذي تحدث بصوت خافت إليهم، وهو ما اعتبر في حينه نقلة نوعية في تعامل الزاوية مع الإعلام تأتي في إطار مساعي الزاوية لتغيير النظرة النمطية عنها في المجتمعات الإسلامية.

وتختتم هذه الليلة بما يعرف محلياً بـ"الليلة الكبيرة" والتي يتم فيها ختم سلكات القرآن، ودلائل الخيرات، وصحيح البخاري، وكتاب الشفا للقاضي عياض، كما تنشد فيها المدائح، وتنظم فيها "الحضرة" في وجود شيخ الطريقة وأفراد عائلته.

ويرى المريدون أن المولد النبوي مناسبة " للحج" إلى مقر الزاوية القادرية البودشيشية بمداغ؛ لتقديم فروض الاحترام للشيخ "(سيدي حمزة) القادري البودشيشي" في خلوته.

ويذكر أن الطريقة القادرية البودشيشية عرفت انتشاراً واسعاً في السنوات الأخيرة بين الأطر العليا للدولة، وكذا في الأوساط الراقية، وينتمي إليها وزير الأوقاف والشؤون الإسلامية أحمد التوفيق.

صحيفة هسبريس المغربية (١٦ مارس ٢٠٠٨م).

## سر إحياء الطرق الصوفية بالمغرب

في مقال للكاتب المغربي: مصطفى بوكرن، حاول أن يعرض فيه للنظريات المختلفة التي تحاول أن تفسر سر محاولة إحياء الطرق الصوفية بالمغرب، قائلاً: "كثر الحديث في الخمس سنوات الماضية عن انبعاث الزوايا الصوفية بالمغرب، وخصوصاً في بعض المناسبات الدينية كذكرى المولد النبوي، ويسيل مداد كثير على صفحات الجرائد الوطنية في تفسير ظاهرة الحركة التي تشهدها مجموعة من المواسم الدينية التي تعقد سنوياً في مزارات أضرحة الأولياء، أو ما تشهده بعض الزوايا الأخرى " كالزاوية القادرية البودشيشية " التي تجد قوتها في: أن " قائدها الروحي " على قيد الحياة، الشيء الذي يسهم في توسيع دائرة " المريدين " لتلمس البركة من الشيخ مباشرة دون وسائط ":

١- يرى البعض أن سبب هذا الأمر أمني عن طريق الملك محمد السادس، والذي عين الصوفي الدكتور أحمد التوفيق لتحمل مسؤولية وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، مؤكدًا أن مجموعة من الباحثين رأت أن التوفيق عمل على ضخ الخطاب الصوفي في الحقل الديني بالمغرب، سواء تعلق الأمر برعاية المواسم أو في الإعلام العمومي؛ مما يدلل على أن إحياء الطرق الصوفية إرادة ملكية تهدف إلى حماية الأمن الروحي للمغاربة من التيارات المتطرفة.

٢- وهناك تفسيرًا آخر: أن ما نراه من حركة ورعاية للزوايا الصوفية غير مستغرب، وهو أمر طبيعي؛ لأن تاريخ المغرب السلطاني كان من مساراته تقوية الحضور الصوفي في إدارة الصراع السياسي، بل إن الحضور الصوفي هو حضور له ارتباط بالمجتمع نفسه؛ لأنه هو الذي يحتضن " الزاوية".

٣- وعرض الكاتب في النهاية لتفسير أخير مفاده: أن محاولة الإحياء للصوفية بالمغرب هو أجندة خارجية بدعم من الولايات المتحدة الأمريكية، في إطار تدبير علاقتها بالمكونات الدينية سواء كانت سياسية أو روحية، ويمكن أن نستحضر هنا وثيقة " راند " الشهيرة الصادرة في فبراير (٢٠٠٤م) والتي تقسم المسلمين إلى أربع فئات: مسلمون أصوليون، مسلمون تقليديون، مسلمون حداثيون، مسلمون علمانيون.

وتصرح الوثيقة بالدعوة لدعم الإسلام التقليدي المتمثل في التصوف لأجل محاصرة الإسلام الأصولي، وذلك بتقوية حضور الخطاب الصوفي في الإعلام، وتعزيز القيم الصوفية في المناهج الدراسية، فليس صدفة كما يقول أحد الباحثين، وإنما انطلاقاً من هذه الوثيقة، حيث يحضر السفير الأمريكي بالمغرب "توماس رايلي" هو وعقيلته احتفال الزاوية القادرية البودشيشية بذكرى المولد النبوي يوم (١٤ أبريل ٢٠٠٦م)، بل إن السفير الأمريكي بمصر صرح للصحافة أنه من المريدين العاشقين للسيد البدوي.

وأنهى مقالاته قائلاً: " يبدو من خلال هذا التحليل أن الظاهرة الصوفية بالمغرب يتداخل فيها السياسي والخارجي والاجتماعي والتاريخي، وقد تكون أحد المقاربات التفسيرية هي الأقوى في التفسير، وقد تكون مقاربات أخرى، لكن ما ينبغي أن ننتبه إليه هو الفئة التي تستقطبها الطرق الصوفية بالمغرب وعلى رأسها " الطريقة القادرية البودشيشية " التي يحضر احتفالاتها في ذكرى المولد النبوي أكثر من مائة ألف مريد، ومن كل الطبقات الاجتماعية البورجوازية و المتوسطة والفقيرة، وامتدت هذه الطريقة إلى آسيا وأمريكا وأوربا، بل وحتى الخليج، واخترقت أطر كبرى في الدولة، واستقطبت الفنانين داخل المغرب وخارجه".

صحيفة هسبريس المغربية (٢٧ من مارس ٢٠٠٨م).

## الصوفية يرتمون في أحضان أمريكا في مؤتمر مشبوه

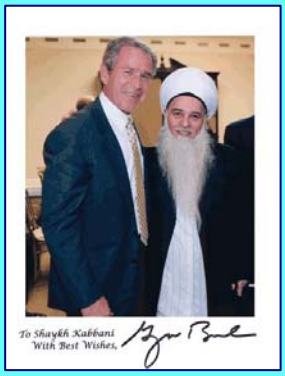


وجهت لبعض مشايخ الطرق الصوفية في مصر دعوات لحضور مؤتمر عن التصوف في الولايات المتحدة الأمريكية، وهي دعوات أثارت ردود أفعال غاضبة في أوساط مشايخ الطرق الصوفية ورئيس المجلس الأعلى للطرق الصوفية، إذ اعتبرها البعض دعوة مشبوهة تروج للفكر الشيعي..

واتهم محمد علاء أبوالعزايم عضو المجلس الأعلى للطرق الصوفية، وشيخ الطريقة العزمية الشيخ محمد أبو هاشم شيخ الطريقة الهاشمية بأنه مصاب بعدم اتزان عاطفي؛ بسبب خسارته في المجلس الأعلى للطرق الصوفية، وذلك لرفضه المؤتمر وقوله: إنه مؤتمر بيزنس.

وحول علاقات أمريكا بالصوفية قال أبوالعزايم في تصريحات لـ«المصري اليوم» قبيل ساعات من سفره للمشاركة في مؤتمر «التصوف» بأمريكا: البعض يحاول تشويه الهدف السامي الذي نسافر من أجله.

وفي محاولة لاستعراض مكانته بالمؤتمر المشبوه قال: أنا همزة الوصل بين دعاة المؤتمر في أمريكا وهم من الصوفية السُنة ومشايخ الطرق الصوفية في مصر، وأوضح أن منظمي المؤتمر دعوا عشرة أفراد من قيادات هذه الطرق في حين طلبوا منه دعوة ثلاثين صوفياً من أهل السُنة.

وزعم أبو العزايم أن هذا المؤتمر صوفي، وليس شيعياً أو أمريكياً.. فأمريكا من مصلحتها أن تغير سياستها تجاه العرب والمسلمين، وتنظر للصوفيين باعتبارهم قوة كبيرة وعريضة من المسلمين لا تمت للإرهاب بأية صلة.. لافتاً إلي وجود اتصالات مع المسلمين الصوفيين في أمريكا.

وقال: إن الاتهامات التي وجهت للمشاركين في المؤتمر بأنهم مجموعات 'بزنس' لا أساس لها من الصحة! لأن المشاركين في المؤتمر من ذوي المراكز المرموقة في المجتمع، ولا يسعون لمصالح شخصية.. وأكد شيخ الطريقة العزمية إلي أنه سيذهب إلي المؤتمر حتى لو لم يوافق المجلس الأعلى للطرق الصوفية؛ لأنه ليس له سلطان علي سفري.

وعن سبب رفض الشيخ "حسن الشناوي" شيخ مشايخ الطرق الصوفية للمؤتمر، وتهديده للمشاركين فيه بعقوبات لمن يشارك فيه دون موافقة المجلس، قال أبو العزايم:

"المؤتمر أخذ حجماً أكبر من حجمه.. فاختيار المشايخ العشرة المشاركين في المؤتمر لم يتم عن طريق المجلس.. نحن قمنا باختيار مجموعة من المشايخ من حيث الوضع والشكل، ووجدنا الأسماء العشرة التي تم اختيارها لحضور المؤتمر عليها اتفاق.. لكن الشيخ حسن تصور أن هؤلاء المشايخ الذاهبين للمؤتمر تابعون للمخابرات الأمريكية (C.I.A) أوتابعون للشيعة.. لهذا انتاب الشيخ حسن شيء من الخوف والقلق - وله حق- وبناءً علي هذا قال هذا الكلام عن المؤتمر وحذر منه".

وقال مادحًا لأمريكا: "وعندما ذهبت في بداية حياتي إلي أمريكا تعلمت هناك أشياء جميلة جداً، فتعلمت الصدق في كل الأقوال، وتعلمت الأمانة والإخلاص للوطن قبل الإخلاص للفرد، فهذه مبادئ رأيتها هناك، وعندما رجعت حاولت أن أغرس هذه المبادئ وهذه الروح في أبناء الطريقة العزمية؛ لأن هذه الصفات هي صفات سيدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم".

وأكد أبو العزايم أن علاقات قوية تربط بين مشايخ الطرق الصوفية السُنية في مصر ومثيلاتها في أمريكا، وقال: إن المجلس الأعلى للطرق الصوفية وضع شروطاً للتأكد من انتماءات المشاركين في المؤتمر.

وعن أسباب اهتمام أمريكا بالطرق الصوفية في العامين الأخيرين قال: من مصلحة أمريكا ومصلحتنا عقد تلك المؤتمرات؛ لتوصيل النموذج المثالي للإسلام لمناهضة الأفكار الهدامة التي تدعو إلى العنف والتطرف، والتي نشرها دعاة الوهابية سواء «القاعدة» أو «الإخوان المسلمين»، على حد زعمه.

وعن موقف المشيخة العامة للطرق الصوفية (رسمية) من مشاركة المشايخ في المؤتمر قال الشيخ حسن الشناوي شيخ مشايخ الطرق الصوفية: "إن المشيخة ليس لها علاقة بأي شكل من الأشكال بتنظيم هذا المؤتمر، وإن الطريقة العزمية هي التي قامت بتنسيق الأمر مع الرابطة الصوفية بالولايات المتحدة".

يذكر أن الطريقة العزمية طريقة شيعية تدَّعي التصوف لتكون جسرًا لنشر العقيدة الشيعية بين مسلمي السنة في مصر.

مجلة آخر ساعة (٢٣ أبريل ٢٠٠٨م).

## صراع على مشيخة الطريقة القادرية بالجزائر

الشيخ الراحل على اليمين ونجله، يتوسطهما خادم مقام الجيلاني بالعراق!

بعد موت شيخ الطريقة القادرية بالجزائر محمد بن إبراهيم الشريف حساني ومواراته التراب نشأ صراع بين أبناء الطريقة على من يخلفه في منصب الرئاسة العامة للطريقة بالجزائر وعموم إفريقيا.

قام بعض أتباع الطريقة بعقد البيعة لنجله حسن لخلافته بحضور حشد كبير من المواطنين ومريدي الطريقة، وغيرها من الطرق الذين قدموا من شتى أنحاء البلد، فضلاً عن ممثلي الدولة.

وبرروا ذلك بوصية، قالوا: إن الراحل تركها منذ عام (١٩٩٤م) لما رأى في نجله من خصال حميدة تؤهله لتولي المنصب، بحسب صحيفة "الشروق اليومي" الجزائرية.

لكن أنصار الدكتور محمد بن بريكة المنسق الأعلى للطريقة بالجزائر أعلنوا في بيان نشرته صحف جزائرية الأحد (١٣- ٤- ٢٠٠٨م) بيعتهم لابن بريكة، معتبرين أنه أولى الناس بالمنصب؛ نظراً لمؤهلاته العلمية والفقهية.

وأعلنوا في البيان: إن "مبايعة" ابن بريكة جاءت "تنفيذاً لوصية المعلم الأول للطريقة سيدي عبد القادر الجيلاني، الذي أفتى بتولي العلماء والفقهاء شئون المشيخة العامة".

ودافعوا عن خيارهم بالقول: "إن ابن بريكة مؤهل بالإجماع لتولي المشيخة؛ لما يتصف به من حكمة وبصيرة وحرص شديد على أن تؤدي الزاوية القادرية دورها في المجتمع الجزائري، بعيداً عن الشعوذة والهرطقة والتطرف والجري وراء المصالح الذاتية".

وذكروا أنهم يقومون بالتحضير لعقد المؤتمر الوطني العام للطريقة في الأيام القليلة القادمة بالجزائر العاصمة، مخصصاً لـ"إعادة ترتيب البيت القادري بعيداً عن سياسة التوريث والزندقة والشعوذة التي عانوا منها طويلاً".

وشدد هذا التيار - المسمى بأنصار "توريث" الخلافة - على أن تقديم "البيعة" لحسن حساني جاء بناءً على رفضهم "مبدأ المشاورة وتقديم العالم عن غيره".

واعتبروا أن هذا المبدأ هو "محاولة تضليل وتهرب وتغليط، والهدف من ورائه هو الاستيلاء على المشيخة"، مؤكدين رفضهم لابن بريكة الذي حاولوا التقليل من شأنه بقولهم: "نحن لا نعرفه".

ويتمسك هؤلاء بإسناد منصب الخلافة لنجل الشيخ الراحل؛ باعتباره "الممثل الوحيد والأوحد للطريقة" من منطلق: أن "الخلافة تخضع للتوريث في العائلة الحسانية منذ ثلاثة قرون؛ وبالتالي فلا يمكن الانحراف عن هذا المبدأ".

ويحظى حسن حساني (٣٨ عاماً) بشعبية كبيرة وسط مريدي الطريقة القادرية، ويتلقى الدعم من عدد كبير من فروع الطريقة خاصة في مناطق: جانت، تبسة، تلمسان، ورقلة وغيرها من مدن الجزائر، بحسب أتباعه.

ويقدر عدد مريدي القادرية في العالم بحوالي (٥٣) مليون شخص، في حين تحتل الطريقة التيجانية الريادة بـ(٣٥٠) مليون مريد منتشرين في بقاع العالم.

ومنذ اعتلاء الرئيس عبد العزيز بوتفليقة كرسي الرئاسة عام (١٩٩٩م) تحظى مختلف الطرق الصوفية برعاية خاصة من قبل الدولة؛ ما سمح لها بالبروز مجدداً على الساحة بعد فترة ركود عانت منها خلال سنوات العنف بتسعينيات القرن الماضي.

إسلام أون لاين (١٤ أبريل ٢٠٠٨م).

## الحكومة الجزائرية في أزمة مع الطرق الصوفية رغم دعمها لها

على عكس السابق وجدت الحكومة الجزائرية أنها على شفا أزمة مع الطرق الصوفية بسبب احتدام الصراع داخل جمعية الزوايا، بين جناح قدور قواعيش، المستشار السابق لرئيس الجمهورية، الذي يرأس الجمعية منذ (١٩٩٢م) وبين جناح بدر الدين شريط، الذي يعقد اليوم لقاء للمشايخ بمنزل الأزرق الكبير بتيبازة، مقابل اللقاء الذي نظمه قدور قواعيش، بالمقر الوطني لجمعية الزوايا بالعاصمة، وتم فيه قراءة بيان مساندة تعديل الدستور، والعهدة الثالثة للرئيس بوتفليقة.

وجدت السلطات نفسها في حرج بشأن الجناح الذي تتعامل معه داخل جمعية الزوايا، على مقربة من الإعلان عن تعديل الدستور، و"غربلة" دعاة العهدة الثالثة لبوتفليقة ".

ولاحظ المتابعون للشأن الصوفي أن الرسميين لم يهتموا هذه المرة بأمر الطرق الصوفية في علاقتهم بتأييد العهدة الثالثة، من عدم ذلك، حيث سبق للجمعية الوطنية أن أعلنت عن مساندتها للرئيس بوتفليقة مرتين، واحدة في شهر أوت المنصرم، والثانية أول أمس، كما أن التلفزيون الجزائري - الذي تنقلت فرقة عنه إلى المقر الوطني للجمعية لتغطية أشغال الملتقى- لم يبث بيان المساندة في نشرته الرئيسية.

مما دفع إلى التساؤل هل المقصود من منع بث البيان الزوايا في حد ذاتها دون غيرها، أم أن الأمر يتعلق بكل من يصدر بيان الدعم بدعوى أن الأمور تميعت؟! إذ أصبح كل من هب ودب يساند الرئيس، وتسير الأمور في علاقة الطرق الصوفية بتزكية الرئيس على العكس تماماً عما كانت عليه قبيل (٢٠٠٤م) حيث وجدت الزوايا ترحاباً من قبل الرئيس بوتفليقة لما منحته تأييدها.

وسبق للاتحاد الوطني للزوايا الجزائرية - وهو تنظيم ثان للطرق الصوفية- أن أعلن مساندته للعهدة الثالثة وتعديل الدستور، ويرتقب أن يجدد دعوته في ملتقى وطني سينظمه بالعاصمة الشهر الداخل، ويضم مختلف الطرق، حسب ما أعلن عنه رئيس الاتحاد محمود شعلال لـ"الخبر"، واللافت، حسب ما أشار إليه قياديون في جمعية الزوايا على هامش لقاء المشايخ أول أمس، بالمقر الوطني، أن الطرق الصوفية الممثلة في الجمعية ممثلة كذلك في الاتحاد، كالتيجانية والقادرية والدرقية والعلوية، ومختلف الزوايا ذات التمثيل المحصور، ما يؤكد §§§

ويرى المتابعون للطرق الصوفية في الجزائر أنه في الوقت الذي يتناحر فيه الجناحان داخل الجمعية يسعى الاتحاد إلى ترتيب بيته، منذ تنظيمه الملتقى العلمي للقرآن الكريم أواخر الشهر الماضي، كما بادر الاتحاد بمشروع قانون أساسي لطلبة الزوايا والجوامع وإيداعه لدى رئاسة الجمهورية، فيما تحضر الجمعية لتنظيم ملتقى مغاربي لتوحيد الطرق، سيستقطب مشايخ وباحثين في الحقل الصوفي.

يذكر أن قيادياً في الطريقة التيجانية - كبرى الطرق الصوفية بالجزائر- أظهر مساندة الطريقة لترشح الرئيس عبد العزيز بوتفليقة لولاية رئاسية ثالثة، والتي تحتاج إلى تعديل الدستور من أجل تمريرها، فيما أكد قياديون صوفيون آخرون أن هذا الأمر يؤيده العديد من الطرق الصوفية الأخرى بالبلد.

وقال الشيخ أحمد التيجاني نجل الشيخ محمد التيجاني الخليفة العاشر للطريقة التي تتخذ من مدينة عين ماضي بمنطقة الأغواط جنوب الجزائر مقرًّا لخلافتها العامة: "إن زوايا الطريقة التيجانية تساند مسعى استمرارية بوتفليقة في سدة الحكم للخمس سنوات المقبلة".

وأضاف في تصريحات نقلتها بعض الصحف الجزائرية: "لا نجد أي حرج في دعم الرئيس بوتفليقة للترشح لعهدة رئاسية ثالثة".

ومنذ وصول بوتفليقة للحكم تحظى الطرق الصوفية - وأبرزها التيجانية، والهبرية، والرحمانية، والقادرية- بدعم كبير من قبل السلطات.

وأرجع أحمد التيجاني هذا الدعم إلى "إخلاصه (بوتفليقة) ووفائه للوطن؛ ولأنه إنسان لائق ومجاهد خدم مصلحة بلاده، وخدم المواطنين"، مضيفًا أن "الطريقة ترى خيرًا في الرئيس الذي أخرج الجزائر من نفق الظلام طيلة عهدتين (ولايتين رئاسيتين)".

وقال الدكتور محمد بن بركة المنسق الأعلى للطريقة

القادرية الصوفية بالجزائر وعموم إفريقيا: "إن بوتفليقة يمثل بالنسبة للطرق الصوفية بالجزائر رجل التاريخ؛ نظرًا لماضيه الثوري الحافل، وحنكته السياسية، حيث تقلد مسئوليات سامية بالدولة وسنّه لا يتجاوز الـ٢٤ سنة".

هذا! ولا تقتصر مساندة الدولة لتلك الطرق على الدعم المادي، بل تعداه في السنوات القليلة الماضية إلى الترويج لها إعلاميًّا، من خلال تغطية وسائل الإعلام الحكومية لمختلف نشاطات الزوايا.

صحيفة الخبر الجزائرية (٩ أبريل ٢٠٠٨م).

## منصب مستشار الرئيس الجزائري يخلق الصراع بين الزوايا

حاول جناح بدر الدين شريط من عقد المؤتمر الجامع للزوايا والطرق الصوفية بالجزائر، ولكن لم يتمكن؛ بسبب رفض الإدارة منحه الترخيص، واتخذ شريط قراراً بتأجيل عقد المؤتمر إلى الأيام القادمة بولاية أدرا، وعن أسباب عدم عقد المؤتمر وجه شريط أصابع الاتهام إلى قواعيش قدور، المستشار السابق للرئيس بوتفليقة، واتهمه بالوقوف ضد نجاح المؤتمر الذي كان من بين أهدافه تزكية الرئيس بوتفليقة لعهدة ثالثة، علماً أن جناح قواعيش عقد لقاءً بداية الأسبوع، وأعلن دعم عهدة ثالثة للرئيس.

هذا! وتعود خلفيات الصراع الأصلية إلى الحرب حول منصب مستشار الرئيس المكلف بالزوايا، بعد أن حدث شغور بمكتب الزوايا في رئاسة الجمهورية، إثر الفضائح التي طفت إلى السطح مؤخراً حول ما عرف بقضية مستشار الرئيس بوتفليقة، رغم أن القضاء لم ينفذ الأحكام التي أطلقها ضد قدور قواعيش".

وعلى خلفية الصراع الدائر بينهما وصف شريط الندوة التي عقدتها جماعة قواعيش بمقر الجمعية الوطنية بداية الأسبوع بـ"المزعومة"، وقدم نفسه على أنه "الرئيس المنتخب طبقاً للقانون المتعلق بالجمعيات. ويوضح بدر الدين شريط أن أعضاء المكتب المؤقت "سحبوا الثقة من الرئيس ونائب الرئيس في المكتب المؤقت يوم (١٠ أوت ٢٠٠٧م)، وتم، حسبه، انتخاب شريط في اليوم الموالي رئيساً جديداً للجمعية.

من جهته: كذب عبد اللطيف الشافعي الداعم لقواعيش ما أشار إليه غريمه بدر الدين شريط، ويؤكد نائب رئيس الجمعية أن "شريط مقاول؛ ولذا أراد أن يستحوذ على الجمعية ويجعلها سجلاً تجارياً يدفع بها مشاريعه إلى الأمام"، وأكثر من ذلك: أكد الشافعي أن شريط "اتصل بالعديد من الوزراء على أساس أنه رئيس جمعية الزوايا، كما يسعى لأن يكون مستشار الرئيس بوتفليقة مكلفاً بالزوايا، وهو المنصب الذي كان تولاه قدور قواعيش من قبل.

وأكد الشافعي إلى أن شريط بدر الدين قال لي: إن ضباطاً سامين أوعزوا إلي ترؤس الجمعية الوطنية للزوايا، وأن الأمر آت من الفوق. وعن كيفية التحاق شريط بجمعية الزوايا: أكد الشافعي أن المعني لا يحوز حتى على بطاقة الانتماء إلى الطرق الصوفية، ولا ينتمي إلى أي طريقة، وفقاً للتحريات التي قمنا بها، موضحاً: أن البداية كانت عندما تقدم "المقاول" شريط وطمأننا بأنه يتكفل مالياً بتسديد مستحقات بيان إشهاري كنا نعتزم نشره عبر صفحات الجرائد" وأكد من جهته الناطق الرسمي للزوايا المحسوب على جناح قواعيش: عيسى أخضري: أن من يحوز على الاعتماد هو الرئيس، مشيراً إلى أن وثيقة الاعتماد باسم قدور قواعيش رئيساً، وأن المحكمة عارضت طلب عقد جمعية عامة تقدم به بدر الدين شريط من أجل انتخاب قيادة جديدة.

صحيفة الخبر الجزائرية (١٣ من مارس ٢٠٠٨م).

## مفتي مصر يدعي رؤية النبي صلى الله عليه وسلم يقظة!!

واصل مفتي مصر "علي جمعة" خزعبلاته التي ينشرها عن طريق وسائل الإعلام المصرية، وادعى أنه رأى الرسول صلى الله عليه وسلم في اليقظة، وأنه اختفى حين بدأ- جمعة- في إحصاء الشعر الشايب في لحيته.

وتساءل البعض: لماذا لم يظهر النبي صلى الله عليه وسلم يقظة في مواقف كانت محددة لمصير الأمة؟! لماذا لم يظهر يقظة للمهاجرين والأنصار في سقيفة بني ساعدة وقت الاختلاف على الخلافة ؟! لماذا لم يظهر لأبي بكر رضي الله عنه في شأن نزاعه مع الزهراء رضي الله عنها في قضية فَدَك؟! لماذا لم يظهر في صفين وفي حروراء ليفضَّ جمهور الخوارج عن عليٍّ رضي الله عنه ؟!

وقد قال الحافظ السخاوي في رؤية النبي صلى الله عليه وآله في اليقظة بعد موته: ( لم يصل إلينا ذلك - أي: ادعاء وقوعها - عن أحد من الصحابة، ولا عمن بعدهم، وقد اشتد حزن فاطمة عليه صلى الله عليه وسلم حتى ماتت كمدًا بعده بستة أشهر على الصحيح، وبيتُها مجاور لضريحه الشريف، ولم ينقل عنها رؤيته في المدة التي تأخرتها عنه) نقل ذلك القسطلاني في المواهب اللدنية: (٥/٢٩٥) عن السخاوي.

وكان إمام مسجد الحامدية الشاذلية قد أوقف عن عمله في رمضان الماضي عندما أعلن للمصلين في صلاة الفجر رؤيته للرسول يؤدي الصلاة معهم، وخضع للتحقيق من جهات أمنية، وشنت الصحافة ووسائل الإعلام حملة عنيفة ضده.

العربية نت (٣ أبريل ٢٠٠٨م).

## الأمين العام لمنظمة آل البيت في موريتانيا يحذر من الشيعة!

حـــذر البـــاحث د. أحمدو بمبـــا رئيس المركـــز الإفريقي للدراسات والأبحـــاث الصوفية، والأمين العام لمنظمـــة آل البيت في موريتانيـــا في لقاء عن التصوف في الغرب الإفريقي في حديثه مما يسميه: بخطر التشيع في الغرب الإسلامي، مستغلاً بيئة التصوف فيه؛ حيث يشير إلى أن الحوزات العلمية في داكار ومالي وغانا تعمل صباح مساء على جلب متشيعين جدد، ومجال عملها ليس الوثنيين أو غير المسلمين وإنما أهل السنة، لكنه يؤكد أن قناعة الصوفية في الغرب الإسلامي أنها بلاد سنية منذ دخول الإسلام، ولا بد أن تظل سنية.

وعن العلاقة بين التشيع والتصوف: يؤكد أحمدو بمبا أن المغرب الإسلامي يختلف عن المشرق الإسلامي في ذلك، فثمة مسحة تشيعية لدى أهل المغرب تتمثل في حب آل البيت عند المتصوفة، لكنها لا تتجاوز ذلك إلى المعتقد الشيعي إلا فيما يتعلق بعاشوراء واحتفالاتها، وأهل التصوف في المغرب الإسلامي على رغم من هذا يختلفون مع الشيعة في الموقف من صحابة رسول الله صلى الله عليه وسلم، فهم يبدءون الترتيب بأبي بكر الصديق ثم عمر الفاروق، ويرفضون - على محبتهم للإمام علي- الطعن في الصحابة أو الإساءة لهم كما يفعل الشيعة.

ويلفت أحمدو بمبا النظر إلى أن الحوار بين السلفية والصوفية قائم تاريخياً، فالزهَاد أو المتصوفة الأوائل لم يكونوا بمنأى عن السلفية، ولم تكن السلفية في منأى عن الزهد، وهناك دعوة قديمة إلى "تصوف السلفية وتسلف الصوفية"، ويشير إلى أن الإمام ابن تيمية لا ينكر مراحل الفناء إلا في مرحلة واحدة، ولا يصطدم بالطريقة القادرية أو مؤسسها الشيخ عبد القادر الجيلاني الذي كان سلفي العقيدة حنبلي الفقه.

ويؤكد بمبا أنه من الصعب الفصل التام بين السلفية والمتصوفة، كما أن كثيراً من الخلافات بينهما ناتجة عن خلافات فقهية معتبرة يمكن الإقرار بها دون الوصول إلى قطيعة، مثل: قضايا التوسل، وبناء المساجد على المقابر !!!! وغير ذلك في رأيه.

وعلى الرغم من أنه يقطع بأن هناك الكثير من الشوائب التي علقت بالفكر الصوفي فإن بمبا يرى أن الفيصل في تقييم التصوف هو ألا يأتي الشيخ الصوفي بابتداع في الدين، ويقول: "هناك مسائل في بعض الطرق لا يقبلها العقل؛ فأنا أنكر رواية أن جبريل عليه السلام جاء في المنام للشيخ أحمدو بمبا شيخ المريدية، فليس لها سند.

وطالب بمبا في نهاية محاضرته إلى العمل على وأد الصراعات المذهبية، وتجفيف روافد التعصب، وأكد على ضرورة التقارب بين مختلف الفرق والمذاهب الإسلامية؛ للوقوف في وجه حملات التنصير الكبرى التي تغزو إفريقيا في الفترة الراهنة فالتنصير في هذه الفترة هو التحدي الأكبر الذي يواجهه مسلمو الغرب الإفريقي، مؤكداً أن ما ينفقه البعض في طباعة كتب ضد التصوف لو أنفق على

فقراء إفريقيا لأغناهم وأنقذهم من الوقوع في حبائل المنصرين!

إسلام أون لاين (٢٦ مارس ٢٠٠٨م).

## جدل حول الموالد بالإسكندرية في مصر

تثير الموالد التي تكثر في مدينة الإسكندرية الجدل الشديد حول هذه الموالد وشرعيتها، في حين يعتقد كثير من سكان الإسكندرية بمكانة رفيعة لهذه الأسماء، ويتبركون بزيارتهم في مواعيد محددة للاحتفال بذكرى مولدهم أو ذكرى وفاتهم.

وصرح رجب عبد الجواد إمام وخطيب مسجد "سيدي أبي العباس المرسي" أن الموالد عبارة عن اجتماع بعض الناس في مسجد يوجد فيه ضريح لولي من أولياء الله، وهو - كما يقول- أمر ابتدعه الفاطميون ولم يكن موجوداً في عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم.

ويذكر نعمان عبد الباسط (تاجر) أن الموالد تحولت إلى سوق تجارية؛ بسبب الإقبال الكبير، حيث يعرض المنتجون بضائعهم، بينما يسعى المستهلكون إلى الشراء؛ بدعوى الحصول على بركة من بركات ولي المنطقة وقطبها.

ورأى البعض مثل أسامة عبد الحميد (محاسب) تلك الاحتفالات واصفاً إياها بأنها: عملية نصب واستخفاف بالعقول، ويشير في هذا الصدد إلى ظاهرة وضع بعض النذور والهبات عند الضريح وحوله؛ ظناً بإمكانية تفريج الكربات، وتحقيق مطالبهم بمعرفة صاحب المقام أو الضريح".

كما وصف صبحي مصطفى (مدرس) تلك الاحتفالات بأنها "شيء مستفز تتعمد وسائل الإعلام إبرازه ونسبته للإسلام"، كما يتهم صبحي مصطفى من سماهم علماء عبدوا الشهرة وحب الظهور بالمشاركة في تلك الاحتفالات، التي قال: إنها تهدف للنيل من الإسلام، متهماً أجهزة الدولة بغض الطرف عن ذلك بتقديم كل وسائل الدعم.

من جهته: يرى الشيخ أحمد المحلاوي - وهو من علماء الأزهر- أن تلك الموالد "لا تتفق مع الشرع، ويقول: إنها ليس لها أصل في الدين، بالإضافة إلى ما يقع فيها من منكرات وتعاطٍ للمخدرات بصورة تسيء للإسلام".

ويذهب المحلاوي أيضاً إلى أن أصحاب تلك الأضرحة غير معروفين، معتبراً أن إقبال الناس عليها يرجع لما سماه جهل العامة، ويتهم المحلاوي الدولة بمنح التراخيص لتلك الموالد، معتبراً أن لها مصلحة في انتشار ما سماه الإسلام السلبي "الذي يغيب العقل ولا ينازع على الملك".

الجزيرة نت (١٢ أبريل ٢٠٠٧م).

## توقع إطلاق قناة فضائية للطرق الصوفية في مصر بداية العام القادم

شهدت جامعة الأزهر في مصر الإعلان عن اطلاق قناة صوفية بداية العام المقبل، في خطوة يتوقع أن تثير ردود فعل من التيارات السلفية والجماعات الاسلامية المناهضة للتصوف والتي تعتبرهم من المبتدعين في الدين.

وجاء الاعلان الخميس ٢٩- ٥- ٢٠٠٨ من خلال مؤتمر "دور الصوفية في مواجهات تحديات العصر" الذي تم تنظيمه في جامعة الأزهر، وذلك في الكلمة التي ألقاها شيخ الطريقة العزمية الصوفية محمد علاء ماضي أبو العزائم.

وقال إنه سيتم تدشين وبدء بث قناة فضائية باسم "مشيخة عموم الطرق الصوفية" للرد على "الاساءات المستمرة ضدهم، وللتعريف بحقيقة مبادئهم والدور الذي يقومون به في العالم الإسلامي".

ماذا ننتظر من هذه القناة ؟

هل ننتظر منها تأصيل وحدة الوجود ؟أم الدعوة إلى زيارة القبور والاستنجاد بالمقبورين؟

أم هل ننتظر الرقص بدعوة إحياء مولد المصطفى عليه الصلاة والسلام؟

هل سنشهد نقلا حيا للآبقين عن السنة عند قبر البدوي؟

أم ستعرض لنا القناة سيرة الحلاج وابن عربي وعمر بن الفارض وأضرابهم من المارقين؟

هل ننتظر منها ملامسة جراح الأمة في فلسطين والعراق ؟

هل ننتظر منها الدعوة للتمسك بسنة المصطفى عليه الصلاة والسلام قولا وعملا واعتقادا؟

نحن نترقب والله حسبنا ونعم الوكيل